التراجيديات اليونانية



تراجيديات سوفقليس

ترجمها عن اليونانية وقدم لها وعلق عليها:

د. عبد الرحمن بدوي



«أوديب ملكاً»

شخصيات المسرحية

كاهن يقدّم الأضاحي والقرابين إلى الآلهة	
كريون	
كورس من شيوخ مدينة ثيبا	
تيرسياس	Τεcρεσιας
يوكاسته	'Ioκασυτη
رسول	'Αγγελος
خادم لايوس	θεραπων Λαiον
مُخبِر	'Εξαγγελος

[أمام قصر أوديب: جماعة من الأطفال راكعين على درجات العتبة. وفي يد كل واحد منهم غصن زيتون. وكاهن زيوس واقف في وسطهم].

أوديب: يا أطفال، يا ذُرّية قادموس القديم، ماذا تفعلون ههنا راكعين، ومزّينين - في تقوى - بغصون التوسُّل؟ إن المدينة ملأى كلها بأبخرة البخور وأناشيد أبولون الممزوجة بالنواح. ولهذا اعتقدتُ أنه ليس في وسعي أن أترك لغيري مهمة الاستماع إلى ندائكم، فجئت بنفسي إليكم، يا أولادي، أنا أوديب - أوديب الذي لا يجهل اسمه أحد. هيّا، أيها الشيخ اشرح لي: فأنت مؤهل حقاً للكلام باسمهم. ماذا تقصدون بهذه الهيئة؟ أهي تعبّر عن خوف، أو عن رغبة معينة؟ هيّا! واعلموا أنني مستعد - إن كان ذلك ممكناً - أن أقدّم إليكم معونة كاملة. لا بد أن أكون عديم الإحساس إذا أنا لم أشعر بالشفقة وأنا أراكم هكذا راكعين.

الكاهن: حسناً سأتكلم. يا سلطان بلادي، يا أوديب، أنت تشاهد أعمار هؤلاء المتوسّلين الراكعين أمام هذه المذابح. بعضهم ليست لديه القوة بعد على الطيران بعيداً، والبعض الآخر قد أخذت عليهم الشيخوخة. أما أنا فإني كاهن زيوس. وهم يشكّلون نخبة من الشباب. وكل الباقين من الشعب، وقد تزينوا بزينة التقوى، إنهم راكعون، أو موجودون في الميادين، أو أمام المعبدين المكرسين إلى بلآس Pallas، أو بالقرب من رماد التنبؤ الخاص باسمينوس[1] Ismenos. إنك تدرك كما تدرك نحن أن ثيبا، وقد أخذتها الأمواج، لم تعُد قادرة على الاحتفاظ برأسها فوق الموجة القاتلة. إن الموت يصيبها في البذور التي تتكون بها الثمار في

(١) هو ابن أبولون، وكان له في ثيبا مذبح عنده كان الرماد يستخدم للتنبؤ بالمستقبل.

تربتها؛ والموت يصيبها في قطعان الثيران، وفي النساء، اللواتي لم يَعُدْن ينجبن[1] حياة. إن إلاهة حاملة مشعل، إلاهة مروّعة كل الترويع، ألا وهي «الطاعون»، قد انقضت علينا، وتغلغلت في مدينتنا، فأفرغت من أهله بيت قادموس، بينما الجحيم الأسود يثري من نواحنا وزفراتنا. صحيح أن: هؤلاء الأولاد وأنا، الراكعين أمام بيتك، لسنا نعدّك مساوياً للآلهة؛ كلا، لكننا نعدّك الأوّل على جميع الفانين في شؤون وجودنا والظروف التي أوجدتها الآلهة. وكان يكفي أن تدخل قديماً في هذه المدينة، مدينة قادموس، من أجل إعفائها من الجزية التي كانت تدفعها آنذاك إلى المطربة[2] المروّعة. ومع ذلك فأنت لم تتعلم شيئاً من فم أيّ واحد منّا، ولم تتلقّ أي درس. وإنما بمعونة أحد الآلهة ـ الكل يقولون هذا ويعتقدونه ـ استطعت أن تنهض بنا. وها نحن هذه المرة أيضاً، أي أوديب العزيز، المحبوب من الجميع ههنا، نحن نتوسل إليك راكعين عند قدميك. اكتشف لنا معونة. ولا يهم هل يعلمك في هذا صوت إله، أو واحد من الناس الفانين. إن الناس المحتكين هم أيضاً أولئك الذين تتوج بالنجاح غالباً نصائحهم. أجَلْ، انهض بمدينتنا، فأنت أفضل بني الإنسان، نعم، وحذار لنفسك! إن هذا البلد يسمّيك اليوم باسم: المنقذ له، بسبب حميّتك في الماضي لخدمته، فلا تَدَعْه اليوم يعلق به ذكرى حزينة عن حكمك وأنك بعد أن أنهضته قد تركته ينهار. انهض بمدينتنا نهضة تستمر أبداً. لقد أتيتنا بالنجاة في الماضي تحت طالع سعيد: فما كُنته، استمر في أن تكونه. أمّا إذا كان مقدراً عليك أن تحكم هذه البلاد كما تحكمها اليوم، أو ليس الأفضل أن تكون مأهولة أولى من أن تكون خاوية؟ إن المتراس أو السفينة ليسا بشيء، إذا لم يكن هناك رجال لشغلهما.

---

(١) يعني أنه حين تحل اللعنة الإلهية ببلد، فإن الأرض لا تنبت، والمواشي تنفق، والنساء يصرن عقيمات.

(٢) أي: الأسفنكس، وهي وحش مجنّح له رأس امرأة وجسم أسد. وهي بنت آخرنا وتيفون. وقد أرسلتها هيرا إلى ثيبا للانتقام من اختطاف لايوس لخروسيبوس وكان ذلك بمثابة إهانة لإلاهة الزواج. . وكانت تترصد لشباب مدينة ثيبا وهم وحدهم وتلقي عليهم اللغز التالي: ما هو الكائن الذي يمشي أحياناً على قدمين، وأحياناً على أربع، وأحياناً على ثلاث ويتقدم أسرع ما يتقدم إذا مشى على أقل عدد من الأقدام؟ ومن لا يستطيع الإجابة على هذا السؤال كانت تنقضّ عليه وتلتهمه.

أوديب: يا أولادي المساكين! لقد جئتم إليَّ محمّلين بأمانيّ لستُ أجهلها، بل أنا أعرفها كل المعرفة. أنا أعلم أنكم جميعاً تعانون المتاعب؛ لكن أيّاً ما كانت متاعبكم، فليس من بينكم من يعاني من المتاعب أكثر مني أنا. إن متاعبكم أنتم ليس لها غير موضوع واحد: فلكل واحد منكم متاعبه هو الخاصة، هو وحده. أما أنا فإن قلبي يئن من أجلنا ثيبا كلها، من أجلكم ومن أجلي أنا، من أجلنا نحن جميعاً. أنتم لا توقظون إنساناً غلب عليه النوم. بل على العكس عليكم أن تعلموا أنني ذرفت الكثير من الدموع، وأطلت الحبل مديداً لتفكيري المهموم. والعلاج الوحيد الذي استطعت أن أكتشفه بعد طول التأمل، قد استعملته دون إبطاء. لقد أرسلت ابن منكيا[١]: كريون، عديلي إلى فوثو Pytho عند فويبوس[٢] Phoebos لأسأله ماذا ينبغي عليَّ أن أقول أو أفعل من أجل إنقاذ مدينتنا. بل إن هذا اليوم الذي نحن فيه، حينما أقارنه بالزمان الماضي، يقلقني: ماذا حدث لكريون؟ إن مدة غيابه تجاوزت المدة المعتادة تجاوزاً أكثر مما هو طبيعي. لكن حين يصل، فإنني سأكون مجرماً إذا أنا رفضت العمل بما أعلنه الإله.

الكاهن: لا يُحسن بك أن تستمر في الكلام: فإن هؤلاء الأولاد يشيرون إليَّ بأن كريون قادم هناك.

أوديب: آه، لو استطاع، يا أپولون العزيز، أن يأتينا بما يمكّن من إنقاذ ثيبا، كما يلوح من سيماء وجهه المشرق!

الكاهن: يمكن على الأقل أن نعتقد أنه راضٍ، وإلاّ لما كان يسير هكذا وجبينه مزيّن بتاج عريض من الغار المُزَيَّف:

أوديب: سنعلم كل شيء. ها هو ذا الآن، على مدى أصواتنا، أيها الأمير، يا صهري العزيز، يا ابن منكيا، بأي جواب من الإله أحضرت إلينا إذن؟

(كريون يدخل من الناحية اليسرى).

كريون: بجوابٍ سعيد. صدّقني، إن أسوأ الأمور، حين تتخذ طريقاً حسناً،

---

(١) كريون Creon هو حفيد بنثيا Penthée، وينحدر مباشرة من قادموس، مؤسس مدينة ثيبا؛ ـ وهو أخو يوكاستِه.

(٢) أي «الساطع» وهي صفة من صفات أپولون.

فإن من الممكن أن تنقلب إلى سعادة.

أوديب: لكن ما هو بالدقة هذا الجواب؟ إن ما تقوله لا يبعث الطمأنينة في نفسي، وإن كان لا يزعجني.

كريون: أتريد أن تسمع مني أمامهم؟ أنا مستعد للكلام. أو تفضل أن ندخل؟

أوديب: هيّا، تكلم أمامهم. إن مصابهم يُثقِل عليّ أكثر من الهمّ الذي يصيبني أنا شخصياً.

كريون: إذن، ها هو ذا الجواب الذي أُعطِي لي باسم الإله. إن المولى فوبوس يأمرنا أمراً صريحاً بأن نطهر النجاسة التي في هذا البلد، وألا ندعها تنمو حتى تصير غير قابلة للعلاج.

أوديب: نعم. لكن كيف نطهّر أنفسنا منها؟ وما طبيعة هذا الداء؟

كريون: بطرد الجناة، أو بإرغامهم على أن يدفعوا القتل بالقتل لأن الدم الذي يتكلم عنه هو الذي يحدث الاضطراب في مدينتنا.

أوديب: لكن من هو إذن الإنسان الذي يعلن الوحي عن موته؟

كريون: هذا البلد، أيها الأمير، كان يتولى الحكم فيه لايوس فيما مضى، قبل الوقت الذي توليت أنت الحكم فيه.

كريون: إنه مات، والإله يأمرنا اليوم صراحةً بأن ننتقم له وأن نعاقب من قتلوه.

أوديب: لكن، أين هم؟ أنّى لنا أن نعثر اليوم على أثر مشكوك فيه لهذه الجريمة العتيقة؟

كريون: إن الإله يقول أنهم في مدينتنا هذه. وما يبحث عنه المرء، يَجِده، وما يُهمله، يُفلِت.

أوديب: هل قُتِل لايوس في قصره، أو في الريف، أو خارج البلاد؟

كريون: لقد غادرنا من أجل استشارة الوحي، هكذا قال. لكنه لم يَعد إلى قصره منذ أن غادره.

أوديب: ألم يمكن الحصول على معلومات من رسول أو رفيق طريق شاهد المأساة؟

كريون: كلهم ماتوا، باستثناء شخص واحد، وقد هرب وهو مذعور ولم يستطع أن يروي عما شاهد غير شيء واحد فقط.

أوديب: وما هو هذا الشيء؟ إن جزئية واحدة يمكن أن توضح جزئيات أخرى كثيرة، لو أنها تقدم لنا أدنى سبب للأمل.

كريون: لقد زعم أن لايوس التقى بقطّاع طرق وسقط صريع هجوم عصابة، وليس صريع ذراع شخص واحد.

أوديب: وهل كان في وسع قُطّاع طرق أن يتجاسروا على مثل هذا الفعل، لو لم تكن المؤامرة قد دبّرت ههنا ودُفع عنها ذهباً؟

كريون: هذا هو فعلاً ما ظنه كل إنسان؛ لكن وقد مات لايوس فإنه لم يتقدم من يدافع عنه ونحن في محنتنا.

أوديب: وأية محنة يمكنها إذن أن تمنعكم، وقد انهار عَرْشٌ، من الكشف عن أسرار هذا الحادث؟

كريون: إنه الاسفنكس ذو الأغاني الغدّارة، الاسفنكس الذي أرغمنا على أن نترك ما أفلت منّا، من أجل أن نُواجه الخطر الماثل تحت أنظارنا.

أوديب: إنني؛ سأتولى أنا هذا الأمر مبتدئاً من بدايته وسأعمل على توضيحه إن فويبوس قد أحسن صنعاً، وأنت أحسنت صنعاً ـ بأن أبديتما هذا الاهتمام بالميّت. ومن العدل أن تجدا العون عندي. سأتولى أنا قضية ثيبا وقضية الإله معاً. وليس من أجل أصدقاء بعيدين، بل من أجلي أنا سأعمل على أن أطرد هذه النجاسة من ههنا. وأيّاً مَنْ كان القاتل، فمن الممكن أن يريد أن يصيبني بضربة مماثلة لهذه. إنني حين أدافع عن لايوس، فإنني إنما أخدم نفسي. فانهضوا إذن دون إبطاءٍ أيها الأولاد من هذه الدرجات واحملوا هذه الأغصان المتوسلة. وليجمع إنسانٌ آخر ههنا شعب مدينة قادموس. وبالنسبة إليَّ أنا مستعد لعمل كل شيء، وإذا أعانني الإله، فلا شك أنني إما أن أنتصر وإما أن أهلك.

(يدخل في القصر مع كريون).

الكاهن: لننهض أيها الأولاد، ما دام ما جئنا لطلبه ههنا قد وعدنا به الملك. وليأت فويبوس (= أبولون) الذي أرسل إلينا هذا الوحي لينقذنا الآن ويضع حداً لهذا البلاء.

(الأولاد يخرجون بصحبة الكاهن. الكورس المؤلف من الشيوخ يدخل).

الكورس: يا كلمة زيوس الحلوة، بماذا جئت من فوثو الثرية إلى مدينتنا العظيمة ثيبا؟ ها هي ذي نفسي التي يشدّها القلق، ترتعد من الخوف. أيها الإله الذي يُذعن بنبرات حادّة، إلى إله ديلوس Delos، الإله الشافي، حينما أفكر فيك فإني أرتعد: ماذا ستطلب منّا؟ التزامٌ جديد؟ أو التزامٌ منسيٌ ينبغي تجديده على مرّ السنين؟

بهذا خبريني، أيتها الكلمة الأزلية الأبدية، يا ابنة الأمَل الساطع. أنت التي أدعوها أولاً، أنت يا ابنة زيوس، أي أثينا الخالدة؛ وكذلك أختك أرتميس، ملكة هذه الأرض، يا من يكوّن ميدان ثيبا المستدير[1] عرشه المجيد، ومعك فويبوس القوّاس، هيّا! أنتم الثلاث معاً؛ أيتها الآلهات الحافظات، ابرُزن لندائي! في الماضي حين كانت أية كارثة تهدد مدينتنا، فإنكن استطعتن أن تبعدن عنها شعلة البلاء، فاهرعن اليوم أيضاً لإنقاذها!

آه! إنني أعاني آلاماً لا حصر لها. إن كل شعبي فريسة للبلاء، وفكري لا يملك سلاحاً يمكننا من الدفاع. ثمار هذه الأرض النبيلة لم تَعُدْ تنضج على الضوء، ولم تعد المواليد السعيدة تتوج العمل الذي ينتزع الصراخ من النساء. ومن الممكن رؤية أهالي ثيبا، الواحد تلو الآخر، مثلهم مثل الطيور ذوات الأجنحة، وهم أسرع من الشعلة المنطلقة - يتدافعون نحو الشاطىء حيث إله «المغرب»[2].

والمدينة تموت مع هؤلاء الموتى الذين لا حصر لهم. ولا رحمة لأبنائها الراقدين على الأرض: إنهم بدورهم يحملون الموت، ولا أحد ينوح عليهم. والزوجات والأمهات ذوات الشعر الأبيض، كلهن يتدافعن من كل مكان أمام المذابح، متوسلات، باكيات من آلامهن الرهيبة. ونشيد أبولون ينطلق، مصحوباً بجوقة من الزفرات.

نجّينا، يا ابنة زيوس الساطعة، عجلي بنجدتك الشعشعانية؛ إن «آرس» Ares

(١) في ميدان ثيبا كانت تعبد أرتميس ذات المجد.

(٢) أي: هادس Hades، الجحيم، العالم السفلي.

المتوحش يتخلى هذه المرّة عن الترس البرونزي[1]، وجاء مشمولاً بضجة هائلة ليهاجمنا ويهلكنا.

آه! ليته يدير وجهه ويعود أدراجه بأقصى سرعة، أو حتى في المقام الفسيح لامفتريت[2] Amphitrite، أو حتى أمواج تراقيا التي لا يظهر فيها أي شاطىء مضياف!

إذا كان الليل قد ترك شيئاً يُعْمَل، فإن النهار سيأتي ليتمّ مهمته. يا زيوس الأب، يا سيد البرق المشتعل - أطْلِق صواعقك على هذا القاسي، واسحقه!

وأنت أيضاً، يا إله[3] لوقيا Lycia، أود أن أشاهد السهام تنطلق من قوسك الذهبية وتنتشر، لا يقهرها شيء، من أجل نجدتي، وحمايتي، في نفس الوقت مثل هذه المشاكل التي ضوؤها يضيء أرتميس حينما تعدو واثبةً خلال جبال لوقيا.

وأهيب أخيراً بالإله ذي التاج الذهبي، هذا الذي أعطى اسمه[4] لبلادي إنه، باخوس ذو الوجه الفرقيري، رفيق الميِنادات الشاردات! آه! فليأتِ، مستضيئاً بشعلة ملتهبة، كي يهاجم الإله المسلوب الشرف بين الآلهة!

(أوديب يخرج من القصر ويخاطب الكورس من أعلى العتبة).

أوديب: إني أسمع دعواتك، وهأنذا أجيبك على هذه الدعوات. تعلّم الإصغاء، والتقط نصائحي، ووطن نفسك على الامتثال لأوامر البلاء - تَنَلْ الراحة وما تنتظره من تخفيف لآلامك. إني أتكلم هنا بوصفي إنساناً لا شأن له بالتقرير[5] الذي سمعه، ولا علاقة له بالجريمة نفسها، التي لن يتقدم التحقيق فيها شوطاً بعيداً، إن ادعى القيام به وحده، دون أن يملك أقل دليل. وحيث أنني في الواقع واحد من بين آخر المواطنين المسجلين في هذه المدينة، فإنني أتوجه إليكم أنتم، وإلى كل أهالي قادموس بهذا النداء، الجادّ:

---

(١) آرس، إله الحرب قد استعمل الآن الطاعون بدلاً من أسلحة الحرب.

(٢) من المحتمل أن يكون المقصود «بالمقام الفسيح لامفتريت» هو المحيط الأطلسي.

(٣) مقاطعة في الجنوب الغربي لأسيا الصغرى.

(٤) ولد الإله ديونسيوس (باخوس) في ثيبا، ولهذا سميت أرضها: «أرض ديونسيوس».

(٥) أي ما قاله كريون عن استشارة أبولون في فوثو.

«مَنْ منكم يعلم بأيّ ذراع قُتِل لايوس، ابن لابداكوس، أنا آمره بأن يكشف عن كل شيء. فإن كان يخشى على نفسه، فليحرر نفسه دون ضجيج[1] من التهمة التي تثقل كاهله: إنه لن يلقى أية متاعب وسيرحل من ههنا في أمان تام. وإن كان يعلم أن القاتل شخص غيره - أو شخصاً مولوداً في بلد آخر - فلا يعتصمن بالصمت، وسأدفع له ثمن ما يكشف عنه، وأضيف إلى ذلك عرفاني جميله هذا. أما إذا أردتم البقاء صامتين وإذا تهرّب واحد منكم، خوفاً منه على آخر من أهله أو على نفسه، فاعلموا ماذا سأفعل في هذه الحالة. أياً من كان الجاني، فإني أمنع الجميع، في هذا البلد الذي لي فيه العرش والسلطان، من أن يستقبلوه، أو يتكلموا معه، أو أن يعطوه أية نقطة من ماء الشعائر الدينية. وأريد من الجميع أن ينبذوه خارج بيوتهم بوصفه نجاسة في بلدنا: إن الوحي الجليل في فوثو قد أفصح لي عن هذا منذ قليل. هكذا أنوي أن أخدم الإله وهذا القتيل. وسأجعل الجاني سواء أكان قد ارتكب جريمته وحده دون أن يكشف عن نفسه، أو بالاشتراك مع غيره - سأجعل الجاني يحيا حياة بائسة لاسرور فيها. وإذا تصادف أنني استقبلته في بيتي وأنا عالم بذلك، فإني أُسْلِم نفسي بنفسي إلى كل العقوبات التي أتيت على ذكرها في أوامري بالنسبة إلى الآخرين. كل هذا أدعوكم إلى فعله معي، من أجل أبولون، ومن أجل هذه الأرض التي تموت، وقد حُرِمت من المحاصيل، ونسيتها آلهتها».

(ينزل أوديب متجهاً نحو الكورس وبلهجة أكثر تلطفاً، لكن بحرارة وامتاع شيئاً فشيئاً يقول:)

أجل، وحتى لو لم تبلّغوا برأي الآلهة هذا، فإنه لم يكن من اللائق بكم أن تتحملوا مثل هذه الوصمة. إن أفضل الملوك قد هلك: ولا بد من التحرّي العميق. إنما في هذه الساعة أجد نفسي أنني أملك السلطة التي كانت عنده قبلي أنا، وأملك سريره، وأملك المرأة التي جعل منها أمّاً؛ واليوم كنا سنكون شركاء في الأولاد لو لم يُطِح الشقاء بسلالته؛ لكن كان محتوماً أن ينقض المصير على رأسه. وسأناضل أنا من أجله، كما لو كان هو أبي. وسأستخدم في هذا كل الوسائل، وأنا أتحرّق إلى القبض على مرتكب هذا القتل، قاتل ابن لبداكوس

(١) أوديب يقترح على الجاني أن يختفي وأن يحرر بهذا أرض ثيبا من النجاسة التي تسببت في حدوث وباء الطاعون.

Labdacos، الأمير المنحدر من پوليدور Polydore، من قادموس القديم، من أجينور[1] العتيق وفيما يتعلق بكل أولئك الذين سيمتنعون من تنفيذ أوامري، فإني سأطلب من الآلهة ألا يسمحوا بخروج محاصيل من أراضيهم، وبإنجاب أبناء من زوجاتهم، وسأطلب من الآلهة أن يهلكوهم جميعاً بالداء الذي نموت منه، إن لم يكن بداءٍ شرّ منه. أما أنتم أيها القادموسيون جميعاً يا من ستطيعون أوامري، فإني أتمنى لكم أن تكون العدالة معونة وصاحبة لكم، وكذلك الآلهة، إلى أبد الآبدين!

قائد الكورس: لقد أختلبتني في قيود لعناتك، أيها الملك: لهذاسأخاطبك بحسب ما تقضي هي به. إنني لم أرتكب هذا القتل؛ ولا أستطيع أيضاً أن أرشد إلى القاتل. لكن كان على فوبوس (= أپولون) حين أجابنا أن يخبرنا بما تبحث عنه، أي: اسم القاتل.

أوديب: أنت تقول الحق؛ لكن هل يوجد أحد يستطيع أن يرغم الآلهة على أن تفعل ما لا تريد أن تفعله؟

قائد الكورس: أود حينئذ أن أقترح عليك رأياً آخر.

أوديب: بل ورأياً ثالثاً، إن شئت؛ ولا تتردد في الكلام.

قائد الكورس: مثل المولى أپولون، فإن السيّد تيرسياس يملك مذهبه التنبؤ بالغيب. فإن لجأنا إليه للقيام بهذا البحث عن الجاني، فسنعرف حقيقة الأمر بكل دقة.

أوديب: لكني لم أهمل هذه الوسيلة هي الأخرى. إن كريون كلمني عنه. فبعثت على الفور برسولين إلى هذا العرّاف. ويدهشني أنه لم يأتِ بعدُ إلينا ههنا.

قائد الكورس: لنقل خيراً في الأمر، فكل الباقي لا قيمة له: كلام في الهواء وأباطيل.

أوديب: أيّ كلام؟ لا شيء مما يقال لن أعمل على مراقبته وضبطه.

قائد الكورس: قالوا إن مسافرين آخرين قتلوه.

---

(١) Agenor: لما اختطف زيوس ـ كبير الآلهة ـ أوروبا، ابنة أجنور الفينيقي، فإنه بعث أولاده للبحث عنها، ومنهم قادموس، الذي قام بتأسيس مدينة ثيبا في بلاد اليونان؛ وأنجب ولداً هو پوليدور، وهذا أنجب لبداكوس، جد لايوس.

أوديب: سمعت أيضاً هذا الكلام. لكن الشاهد الذي ربما شاهد الواقعة لا يراه أحدٌ بعدُ ههنا.

قائد الكورس: لكن الجاني، مهما يكن بمعزل عن الخوف فإنه أمام تهديداتك لن يستطيع الصمود.

أوديب: من لا يخشى من فعل، فبالأحرى لا يخشى من كلمة.

قائد الكورس: لكن ثم شخص يستطيع أن يفضحه: فها هوذا العرّاف الجليل قادماً، وهو الوحيد بين الناس الذي يحمل في صدره الحقيقة!

(يدخل تيرسياس، يقوده طفل ويصحبه عبدان من عبيد أوديب).

أوديب: أنت يا من تفحص كل شيء، أي تيرسياس، سواء ما يُعَلّم وما يبقى ممنوعاً على الشفاه الإنسانية، وما هو في السماء وما يمشي على الأرض، ومهما تكن أعمى فإنك مع ذلك تعلم أيّ بلاء أصاب ثيبا. ونحن لا نعرف أحداً غيرك، يا سيدي، يستطيع أن يحمينا من هذا البلاء وأن ينقذنا منه. حين استشير فوبوس - إن كنت لم تعرف ذلك من رُسُلنا - أشار علينا هكذا. ليس لدينا غير وسيلة واحدة لتخليص أنفسنا من هذا البلاء هي: أن نعثر على قتلة لايوس، وأن نهلكهم بعد ذلك أو ننفيهم عن البلاد. فلا ترفض ما توحي به الطيور من آراء، ولا أيّ مسلك يدعو إليه علم التنبؤ، وانْقِذ نفسك، ووطنك وانقذني أنا أيضاً، وانقذنا نحن من كل نجاسة يمكن أن يَصُبّها علينا الميّت. إن حياتنا بين يديك. بالنسبة إلى الإنسان لا توجد مهمّة أنبل من مساعدة الآخرين بقدر طاقته ووسائله.

تيرسياس: واأسفاه! واأسفاه! إنه لأمر فظيع أن يعلم الإنسان أنه لا يفيد العلم شيئاً لمن يملكه! إني لم أجهله؛ لكني نسيته. ولولا هذا لما جئتُ[1].

أوديب: ما هذا؟ ولماذا كل هذا الاضطراب بسبب فكرة المجيء؟

تيرسياس: هيّا، دعني أعُد إلى بيتي؛ لو أصغيت إليَّ فستكون متاعبنا أقل: أنا في حمل مصيري، وأنت في حمل مصيرك.

---

(١) لما كان تيرسياس يعرف الخطر الذي يهدد أوديب، فإنه يوّد أن يكون قد أطاع دعوة الملك أوديب حين دعاه.

أوديب: ماذا تقول؟ ليس من الطبيعي ولا مما يقتضيه الحب الذي يجب عليك أن تُكِنّه لثيبا، أُمّك أن تحرمها من الوحي.

تيرسياس: آه! ذلك لأنني أراك أنت لا تقول ما ينبغي أن يقال؛ ولما كنتُ أنا أخشى أن ارتكب، بدوري، نفس الخطأ.

أوديب: لا، بحق الآلهة! إن كنت تعلم، فلا تنصرف عنّا. نحن جميعاً ههنا نتوسل إليك ساجدين.

تيرسياس: ذلك لأنكم جميعاً، جميعاً، تجهلون. لا، لا تنتظر منّي أن أكشف عن شقائي - إن لم أقل: عن شقائك أنت.

أوديب: كيف أنت تَعْلَم، ولا تريد أن تقول شيئاً؟! أو لا تدرك أنك بهذا تخوننا وتضيّع وطنك؟

تيرسياس: لا أريد أن أسبّب لك الغمّ، ولي أنا. لماذا تطاردني عبثاً هكذا؟ لن تَعْلم مني شيئاً.

أوديب: وهكذا - يا شرّ الأشرار، لأنك تثير ثائرة الصخر - وهكذا أنت لا تريد أن تقول شيئاً، وتدّعي أنك لا تتأثر، وعنيد إلى هذه الدرجة؟

تيرسياس: أنت تلومني على عنادي الشديد، بينما أنت لا تستطيع أن تشاهد العناد الشديد الذي يرقد في نفسك، وبعد ذلك أنت تلومني!

أوديب: ومَنْ لا يستشيط غضباً لدى سماعه من فمك كلماتٍ هي إهانات بالغة لهذه المدينة؟

تيرسياس: ستأتي المصائب وحدها من تلقاء نفسها: ولا يهمّ أن أصمت وأسعى لإخفائها!

أوديب: لكن إذا كانت لا بد أن تحدث، فهل ينبغي عليك ألا تخبرني بها؟

تيرسياس: لن أقول أكثر من هذا، وافعل بعد هذا ما يحلو لك! وأطلق لغضبك العنان إلى أبعد مدى!

أوديب: ليكن! في حالة الغضب التي أنا فيها لن أخفي شيئاً مما يخيّل إليَّ. اعلم إذن أنه في نظري أنت الذي دبّرت الجريمة وأنت الذي ارتكبتها، فيما عدا أن

ذراعك ليس هو الذي ضَرّب. لكن لو كانت لك عِينان، لقلتُ إنك أنت أيضاً، أنت وحدك، الذي قمت بهذه الجريمة.

تيرسياس: صحيح؟ إذن أنا آمرك أن تلتزم بالأمر الذي أصدرته أنت بنفسك، وألا تتكلم بعد عن هذا اليوم مع أيّ إنسان كائناً مَنْ كان، ولا معي أنا، ولا مع هؤلاء الناس. واعلم إذن أنك أنت هو المجرم الذي نجّس هذا البلد!

أوديب: ماذا؟ هل بلغت بك الوقاحة إلى حد أن تنطق بهذه الكلمة! لكن كيف تظن أنك ستفلت بعد هذا؟

تيرسياس: أنا سأبقى خارج نطاق اعتداآتك، إذ في داخل نفسي تحيا قوة الحق.

أوديب: ومن الذي عَلّمك الحق؟ قطعاً ليست هي صناعتك.

تيرسياس: إنه أنت، لأنك دفعتني إلى الكلام رغماً عني.

أوديب: لتقول ماذا؟ كَرّر ما قلت، حتى أعرفه على نحوٍ أفضل.

تيرسياس: ألم تفهم إذن؟ أو أنت تختبرني كيما تجعلني أتكلم؟

أوديب: ليس بدرجة كافية كي تجعلني أقول إنني فهمت جيداً. هيّا. كَرّر مرة أخرى.

تيرسياس: أقول إنك أنت القاتل المطلوب العثور عليه.

أوديب: آه! لن تكرر هذه الشناعات دون أن تنال العقاب!

تيرسياس: وهل ينبغي عليّ أيضاً كي أزيد في غضبك؟

أوديب: قُلْ ما تشاء؛ فكلامك سيذهب هباءً.

تيرسياس: إذن أقول: بأنك ـ دون أن تدري ـ تعيش في تعامل شائن مع أقرب أهلك إليك، دون أن تعلم إلى أية درجة من الشقاء وصلت.

أوديب: أتظن أنك تستطيع أن تقول أكثر من هذا دون أن يكلّفك هذا شيئاً؟

تيرسياس: نعم، إذا كانت الحقيقة تملك بعض القوة.

أوديب: عند غيرك، لا عندك أنت. كلا، ليس عند أعمى: روحه وأذنان مغلقة مثل عينيه.

تيرسياس: لكنك أنت أيضاً، لست إلاّ شقيّاً، حينما توجّه إليَّ إهانات سيوجّه إليك مثلها عما قريبٍ هؤلاء الناس.

أوديب: إنك أنت لا تعيش إلاّ من الظُّلمات. فكيف تستطيع إذن أن تؤذيني أنا أو أيّ إنسان مثلي يبصر ضوء النهار؟

تيرسياس: لا، ليس مقدراً عليَّ أن أنهار تحت ضرباتك: إن أبولون لن يصعب عليه أن يجعلك تدفع ثمنها.

أوديب: هل هو كريون أو أنت هو الذي اخترع هذه الكارثة؟

تيرسياس: ليس كريون هو الذي يُضَيّعك، بل أنت نفسك.

أوديب: آه! أيتها الثروة، وأيها التاج، وأيها العلم الذي يفوق كل علم آخر - إنك لا شك تجعلين الحياة جديرة بأن تُحسَد. لكن كم من صنوف الحَسَد تحتفظين بها عندك! إذا صحّ أنه من أجل هذا السلطان، الذي وضعته ثيبا في يدي، دون أن أكون أنا قد طلبته - فإن كريون، كريون المُخلص، صديقي الدائم - يسعى اليوم بخبثٍ إلى التآمر عليَّ وطردي من ههنا، وكان من أجل هذا قد رشا هذا المتنبيء الكاذب، هذا المدبّر الخطير للمؤامرات، هذا النصّاب الخبيث، الذي عيناه مفتوحتان على المكاسب، لكنهما مغلقتان تماماً عن صناعته. وإلاّ فقُلْ لي متى كنت عرّافاً صادقاً؟ لماذا حينما كانت المطربة المروّعة[1] بين أسوارنا - لم تَقُل لهؤلاء المواطنين الكلمة التي كانت ستنجّيهم؟ ولم يكن في وسع أيّ إنسان أن يحلّ اللغز: لقد كان لا بد لذلك من عرّاف. هذا الفن أنت لم تُظْهِر أنك تعلمته لا من الطيور ولا من أحد الآلهة! ومع ذلك فهو أنا أوديب، الجاهل بكل شيء، أنا وحدي الذي أغلقت فَمَه ببديهتي وحدها، دون أن أعرف شيئاً عن التنبؤ بالغيب. هذا هو الرجل الذي تسعى اليوم إلى طرده من ثيبا! ويخيّل إليك الآن أنك ماثل بالقرب من عرش كريون؟ إن هذا المسعى يمكن أن يكلّفك غالياً أنت ومن حَاك المؤامرة. لو ظهرتَ لي بمظهر الرجل العجوز لتلقيت درساً مكافئاً لمُكْرِك.

قائد الكورس: يلوح لنا نحن أنه لو كانت كلماته إنما أملاها الغضبُ، فالأمر كذلك أيضاً بالنسبة إلى كلماتك أنت، ونحن لسنا في حاجة ههنا إلى مثل هذه

---

(١) الاسفنكس.

الكلمات كيف نحلُّ إذن وَحْي أپولون على أحسن وجه؟ هذا فقط هو ما علينا أن نفحص عنه.

تيرسياس: أنت تحكم؛ لكنّ لي أنا أيضاً حقي الذي يجب عليك أن تعرف به، حقي في أن أجيب بدوري على كلامك نقطة نقطة، وهو حقي الذي لا مُشاقّة فيه، أنا لست تحت إمرتك، وإنما تحت إمرة لوكياس[1]؛ ولهذا فليس لي أن أهيب إن برعاية كريون. وهاك ما أريد أن أقوله لك: أنت تأخذ عليّ أنني أعمى؛ ولكنك أنت، يا من ترى، كيف لا ترى في أية درجة من الشقاء أنت الآن وتحت أيّ سقف تعيش، ومَنْ تعاشر؟ هل تعلم فقط مَنْ أنجبك؟ أنت لا تدرك أنك بلاء على أهلك، وأنك في الجحيم وأنت على الأرض وعمّا قليل ستطردك من هنا - كأنها سَوْطٌ مزدوج - لعنةُ أبٍ وأمٍّ لعنة تقترب منك مروِّعة. أنت ترى النور: لكنك عما قليل لن ترى إلاّ الظلام. أية شواطىء لن تملأها حينئذ بصرخاتك؟ - أيّ قيثرون[2] لن يردد إذن صداها؟ - حينما تدرك أي شاطىء موحش كان بالنسبة إليك الزواج الذي أنزلتك فيه رحلة سعيدة جداً! وأنت لا تتبصّر سيل الكوارث الجديدة التي ستهبط بك إلى مرتبة أولادك! وبعد هذا، اذهب، وسُبّ كريون، وسُبّ تنبؤاتي: لم يطحن القَدَر أحداً بقسوة أشد مما سيفعله القدر معك.

أوديب: آه هل يمكن أن احتمل سماع كلام من هذا النوع؟ اذهب إلى الشقاء، وبسرعة! أدر ظهرك لهذا القصر، وبسرعة! ابعُدْ عن هنا! اذهب!

تيرسياس: ما كنت سآتي إليك من تلقاء نفسي؛ بل أنت وحدك الذي دعوتني.

أوديب: وهل كان في استطاعتي أن أعلم أنك لن تقول إلاّ تُرّهات؟ إذن لما كنت استدعيتك إلى هنا.

تيرسياس: إذن أنا أبدو لك على شكل أحمق؟ وعلى ذلك فإنني كنت حكيماً عاقلاً في نظر أقربائك.

---

(١) Lokias: معناه اللغوي باليونانية: المائل، الملتوي، وهو من ألقاب أپولون ربما لأن وحيه غامض مشكك.

(٢) قيثرون: جبل في شعابه قيد أوديب وهو طفل لتلتهمه الوحوش وكواسر الطيور.

أوديب: أي أقرباء؟ توقف عند هذا. ابنُ مَنْ أنا؟

تيرسياس: هذا اليوم سيجعلك تولد وتموت في آنٍ معاً.

أوديب: ألا تستطيع إذن أن تستخدم إلاّ الكلمات الغامضة والألغاز؟

تيرسياس: ماذا! أو لست بارعاً في حل الألغاز؟

أوديب: اذهب! لمني إذن على سرّ عظمتي.

تيرسياس: لكن نجاحك هو نفسه الذي سيُضَيّعك.

أوديب: ما دمت قد وجدتَ المدينة، فماذا يهمني من الباقي؟

تيرسياس: إذن، أنا ذاهب. يا أيها الولد، خُذْ بيدي..

أوديب: نعم، ليأخذنّ بيدك! إن حضورك يضايقني ويُثْقِل عليَّ. في وسعك أن ترحل، ولن آسف على ذلك.

تيرسياس: أنا ذاهب، لكنني سأقول أولاً ما من أجله جئتُ[1] هنا. إن وجهك لا يخيفني؛ ولست أنت الشخص الذي تستطيع أن تهلكني. سأقول الحقيقة في وجهك: إن الشخص الذي تبحث عنه منذ بعض الوقت بكل هذه التهديدات وهذه الإعلانات الخاصة بقتل لايوس.. هذا الشخص موجود ههنا. هم يعتقدون أنه أجنبي استقر في هذه البلاد: ولكن سينكشف أنه ثيباوي حقيقي. وليست هذه المغامرة هي التي ستجلب إليه فرحة كبيرة. لقد كان يبصر ولكنه منذ هذا اليوم سيكون أعمى وقد كان ثرياً، لكنه سيكون شحّاذاً، وسيتحسّس الطريق أمامه بعصاه، وسيسلك الطريق إلى أرض أجنبية. وفي نفس الوقت سينكشف أنه أبٌ وأخٌ في نفس الوقت للأبناء المحيطين به، وأنه زوج وابن معاً للمرأة التي أنجبته، وأنه منافس مرتكب لخطيئة الزنا بالمحارم تجاه أبيه وقاتل لأبيه في نفس الوقت! ادخل قصرك الآن، وتأمّل في نبؤاتي هذه؛ وإذا وثقت أنني كذبتُ، فبودي حينئذ أن تقول إنني أجهل فن العرّافين.

(يخرج، بينما أوديب يدخل قصره).

---

(١) في هذا المنظر ما يذكّر بالجدال بين تيرسياس وكريون في مسرحية «أنتيجونا» (١٠٤٨ ـ ١٠٩٠).

الكورس[1]: من ذا الذي قال في دلف إن صخرة التنبؤات قد ارتكبت بيدها الدامية جرائم تجاوزت كل الجرائم؟

هذه هي الساعة التي عليه فيها أن يحرّك ـ وهو هارب ـ رُكَباً أقوى من ركَب هذه الأفراس التي تسابق وفد الريح.

لقد انطلق عليه ابن زيوس، متسلحاً بالشعلات والبروق وفي آثاره تجري آلهات[2] الموت، هذه الآلهات الرهيبة التي لم تفلت منها فرائسها أبداً.

لقد بزغت ساطعةً الكلمة المنبثقة من جبل البرناس[3] المكلل بالثلوج. وهي تريد أن يعقب كل إنسانٍ أثَرَ الجاني المشكوك فيه.

ها هو ذا مارداً في الغابة البريّة، بين الكهوف والصخور، مثل ثور[4].

هو وحيد بائس في هربه الرهيب، يسعى إلى الإفلات من النبوآت الصادرة من مركز الأرض. لكنها ماثلة دائماً هناك، تحوّم طائرة حواليه.

لا شك في أن العرّاف الحكيم يثير في نفسي الاضطراب بشكل مُذهل. إني لا أستطيع أن أصدّقه ولا أن أكذّبه. ماذا أقول؟ لست أدري إني أتطير مع رياح مخاوفي، ولا أرى شيئاً أمامي ولا خلفي.

أية شكوى يمكن أن توجد، سواء في نفس اللبداكين وفي نفس ابن بوليبوس[5]؟ لا في الماضي، ولا في الحاضر.

إني لا أجد أيّ دليل يرغمني على إعلان الحرب ضد السمعة الوطيدة لأوديب وعلى أن أنصّب نفسي ـ باسم اللبداكين، آخذاً بالثأر عن جريمة قتل مشكوك فيها.

لكن، إذا كان زيوس وأپولون متبصّرَيْن وعالمين بمصائر الفانين فهل

---

(١) مختصر ما يقوله الكورس هو: أنا أشك في تنبؤات الوحي ولا أستطيع تصديقها.

(٢) المقصود بها «الأرنيات» Erinyes: آلهات الانتقام.

(٣) معبد دلف، المشهور بوحيه، موجود على جبل البرناس.

(٤) إن الجاني يهرب، تطارده النبوءات، كأنه ثور هائج يلسعه البعوض.

(٥) إن أوديب، المزعوم أنه ابن بولوبوس لا يملك الشكوى ضد اللبداكين، وهؤلاء لا يملكون الشكوى منه.

العرّاف، من بين الناس، يملك مواهب أسمى من مواهبي؟ لا شاهد على هذا. أجل، إن المعرفة البشرية تتفاوت في المقدار ويمكن أن يتفرق بعضها مع البعض الآخر. لكن طالما لم أر أقوال من يتهمونه تتحقق، فإنني أرفض الإقرار بها.

والأمر الجليُّ هو أن العذراء[1] المجنّحة اشتبكت معه، وأنه برهن آنذاك على رجاحة عقله وعن حبّه لمدينة ثيبا ولهذا السبب فإن قلبي لن يتهمه أبداً بأية جريمة.

(كريون يدخل من عن يمين).

كريون: أيها المواطنون! لقد أخبروني أن ملكنا أوديب يقول عنّي أقوالاً غريبة. وهذا أمر لا أحتمله، ولهذا جئت إليكم. لو كان يظنّ حقاً أنني - في هذا الوقت الذي نحن فيه - أسبب له أي أذى: سواء بالقول أو بالفعل، فإني لا أتمنى أبداً أن أعيش: إن هذه التهمة تزعجني أشدّ الإزعاج.. إن أقوالاً من هذا النوع تسيء إليّ إساءة بالغة. أيكون في نظري أسوأ من غدّار في مدينتي، غدار في نظركم وفي نظر كل أصحابي؟

قائد الكورس: ربما كانت الإهانة قد صدرت عنه وهو في حالة الغضب، لا في حالة الإتزان والرويّة.

كريون: وقيل صراحةً إن العرّاف قد تفوّه بهذه الأكاذيب من أجل خدمة مقاصدي؟

قائد الكورس: نعم، هذا هو ما قاله لكن بأيّ قصد؟ لست أدري.

كريون: وحين ألقى بهذه التهمة ضدّي، فهل كان محتفظاً بنظرة وحُكم إنسان مالك لعقله؟

قائد الكورس: لست أدري. ليست لي عيون تبصر ما يفعل سادتي. لكن ها هو ذا يخرج الآن من القصر.

(أوديب يظهر على عتبة قصره).

أوديب: يا هذا! ماذا تفعل هنا؟ ماذا! أتتجاسر، أيها الوقح، على المجيء

(١) أي: الاسفنكس. وينبغي أن يلاحظ أن «الاسفنكس» مؤنث في اللغة اليونانية لأن رأسها رأس امرأة.

إلى قصري؟ أنت سفاح تريد الاعتداء على حياتي، أنت قاطع طريق تطمع في عرشي! تكلم، بحق الآلهة! ماذا تصوّرت فيَّ: الجُبْن أو الحماقة؟ - حتى تقرّر أن تعاملني بهذه الطريقة! أم قد حسبت أنني لن أستطيع اكتشاف مؤامرتك ولا أن أسدّ عليها الطريق إذا ما اكتشفتُها؟ الأحرى هو أن الحماقة هي في خُطّتك أنت، أنت يا من تريد - بغير مساعدة الشعب ولا الأصدقاء - أن تستولي على عرش لم يحصل عليه أحدٌ من قبل إلا بواسطة الشعب وبواسطة الأموال.

كريون: أتعرف ماذا عليك أن تفعل؟ أنت تكلمت، فدعني أنا الآخر بدوري أتكلم، ثم احكم بنفسك بعد أن تسمع كلامي.

أوديب: أنت تُحْسِن الكلام؛ لكنني أنا لا أفهمك. إني أراك عدوّاً ومُزْعِجاً.

كريون: أبدأ بالإصغاء إليّ في هذه النقطة بالذات.

أوديب: في هذه النقطة بالذات لا تبدأ بالقول بأنك لست خائناً.

كريون: إذا كنت تتصور فعلاً أن الغطرسة بدون سبب تعتبر مزيّة، فإنك تكون فاقداً للعقل السليم.

أوديب: إذا كنت تتصور أن القريب الذي يخون أهله يجب ألا يُعاقَب على ذلك، فإنك أيضاً تكون فاقداً للعقل.

كريون: أنا موافق على هذا. هذا أمرٌ سليم جداً. لكن ما هو الضرر الذي أصابك من جانبي أنا - خبّرني!

أوديب: هل ترى، أو لا ترى، أنه كان يجب عليَّ أن أُرْسِل في طلب العرّاف الجليل؟

كريون: وحتى الآن أنا أرى هذا الرأي.

أوديب: خبّرني إذن منذ متى ملكك لايوس...

كريون: فعل ماذا؟ إني لا أفهم ما يجول بفكرك.

أوديب: .. اختفى، صريعاً لاعتداءقاتل.

كريون: منذ عدة سنين طويلة ماضية.

أوديب: هل كان عرّافنا هذا يمارس آنذاك فنّه؟

كريون: نعم، كان آنذاك حكيماً معتبراً كما هو الآن.

أوديب: وهل تكلّم عني بهذه المناسبة؟

كريون: كلا أبداً، على الأقل أمامي أنا.

أوديب: لكن هل لم تقم ببحث فيما يتعلق بالميّت؟

كريون: بلى! هذا أمر كان لا بد منه، لكننا لم نصل إلى نتيجة.

أوديب: ولماذا لم يتكلم هذا العرّاف الحكيم آنذاك؟

كريون: لا أدري. إن القاعدة التي أسير عليها هي أن أسكت عندما لا يكون لديّ فكرة.

أوديب: ما تعرفه وما ستقوله - إذا لم تكن قد فقدت صوابك...

كريون: ماذا؟ إن كنت أعرف شيئاً، فإني لن أخفيه.

أوديب: أنه لم ينسب إليّ أبداً، دون اتفاق معك، قتل لايوس.

كريون: إذا كان هذا هو ما قال، فأنت تعلم ذلك بنفسك. وأنا أطلب منك فقط أن تجيب أنت بدورك، كما أجبتُ أنا على سؤالك.

أوديب: ليكن! اسألني: لن يعثروا فيَّ أنا على القاتل!

كريون: لنَرَ: أنت تزوجت فعلاً بأختي.

أوديب: سيكون من الصعب عليَّ جداً أن ادّعي عكس ذلك.

كريون: أنت تحكم هذه البلاد بموجب حقوق مساوية لحقوقه هو؟

أوديب: وكل ما ترومه فإنها تحصل عليه منّي بدون تعب.

كريون: وأنا، أليس لي نصيب مساوٍ في السلطة لنصيبكما؟

أوديب: في هذا بالذات أنت تدلّ على أنك خائن!

كريون: كلا! اشرح لي فقط ما هو وضعي أنا. فكِّر أولاً في هذا: هل تعتقد أنه يوجد إنسان يفضّل أن يحكم حيث يسود الاضطراب المستمر - على أن ينام هادئاً وهو يتمتع في الوقت ذاته بنفس السلطة؟ بالنسبة إليَّ أنا، أنا لم أولد وعندي الرغبة في أن أكون ملكاً، بل ولدت وعندي الرغبة في أن أعيش كملك. وهذا أيضاً رأي كل من عنده عقل. واليوم أنا أحصل منك على كل شيء، دون أن أدفع ثمناً لذلك أيّ خوف. لو توليت أنا الحُكم، فكم من أمور يجب عليَّ القيام بها على الرغم منّي! فأنّى لي أن أعتبر الحكم أفضل من سلطة لا تجلب عليَّ أيّ هَمّ؟

إني لا أخدع نفسي إلى درجة أن أعني بأكثر من الشرف المقترن بالربح. إني اليوم أجد نفسي مستريحاً مع الجميع، واليوم كل إنسان يحتفي بي، واليوم كلُّ من يحتاج إليك يأتي ساعياً إليّ في عقر داري: فعندهم أن الفوز كله إنما هو ههنا. فهل أتخلى عن هذا كله من أجل ذلك الشيء؟ كلا، إن العقل لا يمكن أن يتحول إلى حماقة. أبداً لم أَشْتَهِ مثل هذه الفكرة. وما كان لي أن أنضم إلى من سيسلك هذا المسلك. أتريد البرهان على هذا؟ إذهب إذن إلى پوثو أولاً واسأل هل أنا رويت لك ما قاله الوحي بالدقة تماماً. وبعد ذلك، إذا استطعت أن تبرهن على أنني تآمرت مع العراف، فأمر بقتلي: وليس صوتك وحده هو الذي سيحكم عليّ. بل صوتي أنا وصوتك معاً. لكن لا تتهمني بمجرد الظن، ولا تحكم عليَّ قبل أن تسمع كلامي. ليس من الأنصاف أن تعتبر الأشرار أخياراً، والأخيار أشراراً. أن يحرم الإنسان نفسه من صديق مخلص معناه أن يحرم نفسه من مقدار من حياته، أي من أعزّ ما يملك. وهذا أمر لا بد من زمان طويل لتعلّمه على نحوٍ أكيد. فالزمان هو القادر وحده على الكشف عن الرجل الشريف الأمين، بينما يكفي يوم واحد للكشف عن الخائن.

قائد الكورس: من يزعم أنه يصون نفسه عن الخطأ سيجد أنه تكلم كلاماً جيداً. واتخاذ قرار بتسرّع كبير هو أمرٌ لا يخلو من المخاطرة، أيها الملك.

أوديب: إذا اسرع خائن نحوي في الظلام، فيجب عليَّ أنا أيضاً أن أسرع في اتخاذ قرار. أما أن أقف هناك بغير أن أفعل شيئاً، فإن الضربة تصيب الهدف، بينما ضربتي أنا تطيش.

كريون: ماذا تريد إذن؟ نفيي من البلاد؟

أوديب: كلا، بل أريد موتك، وليس نفيك.

كريون: لكن بَيّن لي أولاً السبب في كراهيتك لي.

أوديب: أتزعم إذن أنك متمرّد؟ أترفض الطاعة؟

كريون: نعم، حين أراك قد فقدت صوابك.

أوديب: أنا أدرك ما هي مصلحتي.

كريون: هل تدرك مصلحتي أنا أيضاً؟

أوديب: ما أنت إلا خائن.

كريون: وإذا كنت أنت لا تَفهم شيئاً؟

أوديب: هذا لا يهم! عليك فقط أن تطيع مَلِكَك.

كريون: لا، حين يكون ملكاً رديئاً.

أوديب: ثيبا! ثيبا؟

كريون: ثيبا هي لي بقدر ما هي لك.

قائد الكورس: أيها الأمراء! توقّفوا!... لكن ها هي ذي يوكاسته تخرج من القصر، فينبغي عليها أن تفصل في النزاع الذي نشب بينكما.

(تظهر يوكاسته عند عتبة القصر وتعترض بين أوديب وكريون).

يوكاسته: أيها الشقيان! لماذا تثيران حرباً كلامية لا معنى لها؟ ألا تخجلان، بينما بلادكما تعاني ما تعاني، من إثارة أحقادكما الشخصية! (تخاطب أوديب:) هيه ادخُلْ القصر. وأنت يا كريون، اذهب إلى بيتك. ولا تصنعا من أمرٍ تافه مصيبة أليمة جداً.

كريون: إنه زوجك، يا أختاه، إنه أوديب الذي يدعى معاملتي على نحوٍ غريب، ويقرر من تلقاء نفسه إما أن يطردني من ثيبا، وإما أن يقبض عليَّ لإعدامي.

أوديب: بالضبط! ألم أفاجئه وهو بسبيلِ تدبير مؤامرة إعدامية ضد شخصي أنا؟

كريون: لينحلَّ عني كل حظ ولأَمُتْ في الحال وأنا أتفوه بهذا الكلام، إذا كنت قد دبرتّ ضدّك شيئاً مما تتهمني به!

يوكاسته: باسم الآلهة، يا أوديب، في هذه النقطة بالذات يجب عليك أن تصدّقه. احترم كلمته - والآلهة ضامنون لذلك - واحترمني أنا، وكلَّ أولئك الموجودين هناك.

الكورس: استجب لدعائها، وأظهر حُسْنَ نيتك، واستعد برود أعصابك - أتوسّل إليك يا مولاي.

أوديب: إذن على ماذا تريد مني أن أوافق عليه؟

الكورس: فكرة تكوّنت استناداً إلى كلمات أسيء فهمها. لكن المرء يغضب من لوم ظالم.

يوكاسته: إذن كلاهما مسؤول؟

قائد الكورس: نعم.

يوكاسته: لكن ماذا كانت الحكاية؟

الكورس: هذا كافٍ، كافٍ جداً - حينما تتألم ثيبا كل هذه الآلام - للتوقف عن الحدّ الذي انتهت إليه هذه المسألة.

أوديب: أنت ترى إلى ماذا تنتهي، على الرغم من طيب النيّة، بتهدئتك لغضبتي[1] هكذا.

الكورس: أيها الملك، لقد قلت لك ذلك أكثر من مرة، إنني سأكون مجنوناً محروماً من العقل لو أنني انفصلتُ عنك.

حينما كانت مدينتي فريسة للأهوال، فإنك أنت الذي استطعت أن تضعها في اتجاه الريح: واليوم أيضاً كن لها الرُبّان الصالح إن استطعت.

يوكاسته: باسم الآلهة إلا خبّرني، يا مولاي، ماذا عسى أن يكون قد أثار فيك مثل هذه الغضبة.

أوديب: أجل، سأخبرك. إني احترمك أكثر من كل هؤلاء. إنه كريون والمؤامرة التي دبّرها ضدّي.

يوكاسته: تكلّم، حتى أرى هل تستطيع أن تحدّد بدقةٍ موضوع هذا النزاع.

أوديب: إنه يُدّعي أنني أنا الذي قتلتُ لايوس.

يوكاسته: هل هو يعرف ذلك من تلقاء نفسه؟ أو هو علم بذلك من شخص آخر؟

أوديب: لقد أرسل إلينا عرّافاً، هو وغد سافل. ومن أجله يطلق لسانه دائماً بالأباطيل.

---

(١) إن من شأن غضبة أوديب، لو انتهت بضرب كريون، كان من شأنها على الأقل أن تمنع من تعرضه للموت.

يوكاسته: بَرِّئ نفسك بنفسك من الجريمة التي تتحدث عنها، وأَصْغ إليّ. وسترى أنه لا يوجد إنسان يعلم فن التنبؤ بالغيب. وسأسوق إليك الدليل على هذا في كلمات قليلة. في الماضي جاءت نبوءة إلى لايوس، لا من عند أپولون هو نفسه، وإنما من عند من يخدمونه. وكانت تقول إن المصير الذي ينتظره هو الهلاك بذراع ابنه الذي سينجب منه ومني أنا. لكن الشائعات العامة تقول إن الذين قتلوا لايوس هم قطاع طرق أجانب، عند تقاطع طريقين[1]؛ ومن ناحية أخرى فإن الولد متى ما وُلِد، فإن لايوس يربط قدميه بعد ثلاثة أيام ويلقي به على جبل قفر. ولم يقل أپولون أن الابن سيقتل أباه، ولا أن لايوس - كما خاف - سيهلك بيد ابنه، وعلى ذلك كان هذا هو المصير الذي تنبأت به الأصوات المتنبئة؛ فلا تحفل مطلقاً بذلك الصوت. إن الأمور التي يقوم إله بإنجازها لا بد أنه يعرف جيداً كيف يكشف عنها.

أوديب: آه! من سماعي لما تقولين أشعر فجأة، أيتها المرأة، بأن روحي تنوء، وعقلي يترنح!

يوكاسته: أيّ قلق يجعلك تنظر إلى الوراء فجأة؟

أوديب: أنتِ قلتِ أن لايوس قد قُتِل عند تقاطع طريقين؟

يوكاسته: هذا ما قيل حينذاك، وما يقولونه باستمرار حتى اليوم.

أوديب: وفي أي بلد يوجد المكان الذي عانى فيه لايوس هذا المصير؟

يوكاسته: البلد هو فوكيدا. والتقاطع هو الذي عنده يتلاقى طريقان يأتيان من دلف وداوليا[2] Daulia.

أوديب: ومنذ متى وقع هذا الحادث؟

يوكاسته: في وقت قليل قبل اليوم الذي فيه اعترف بسلطانك على ثيبا وصل النبأ إلى هنا.

---

(١) في النص اليوناني الحرفي (البيت رقم ٧٣٠): «عند نقطة تلاقي ثلاثة طرق». وعند اليونان كان الطريقان المتقاطعان يكونان أربعة طرق؛ بينما الطريقان اللذان يتلاقيان يكونان ثلاثة طرق.

(٢) لم يذكر اسم طريق داوليا إلاّ لتحديد النقطة التي حدث فيها اللقاء؛ لكن اللقاء قد وقع على طريق دلف هو نفسه، وكان أوديب قادماً من مذبح دلف، بينما كان لايوس ذاهباً إلى هذا المذبح. ولم يأت أحد منهما من داوليا، وإن كانا قد اصطدما عند تقاطع الطريقين.

أوديب: آه! ماذا تريد، يا زيوس، أن تفعل بي؟

يوكاسته: ما هو الهمّ الذي يشغل بالك، يا أوديب؟

أوديب: انتظري قليلاً لتسأليني. وكيف كانت قامة لايوس؟ وماذا كانت سِنّه آنذاك؟

يوكاسته: كان طويل القامة.. والشعر الذي على جبهته بدأ في البياض. ولم يكن منظره بعيداً جداً عن منظرك أنت.

أوديب: يا للشقاء! أخشى تماماً أن أكون ـ دون أن أدري ـ قد أطلقتُ ضد نفسي منذ قليلٍ لعناتٍ غريبة.

يوكاسته: ماذا تقول، يا مولاي؟ إني ارتعد من النظر إليك.

أوديب: إن شجاعتي تخونني بشكل رهيب حينما أتصور أن هذا العرّاف قد صدق في التنبؤ تماماً. وكلمة واحدة أخرى منك ستكفي لإثبات ذلك عندي.

يوكاسته: وأنا أيضاً خائفة؛ لكن قل لي ماذا تريد أن تعرف، أُجِبْك عنه.

أوديب: هل كان لايوس مسافراً مصحوباً بصحبة متواضعة؛ أو كان محاطاً بحراس عديدين، كما يليق بسلطان؟

يوكاسته: كان مجموعهم خمسة، ومنهم منادٍ. وكانت العربة يركبها لايوس.

أوديب: آه! الآن صار كل شيء واضحاً. لكن، من الذي روى لك هذه الرواية، أيتها المرأة؟

يوكاسته: خادم، هو الوحيد الذي نجا.

أوديب: هل هو في القصر الآن في هذه الساعة؟

يوكاسته: لا؛ فإنه لما عاد، ووجدك على العرش، وقد شاهد لايوس ميّتاً ـ فإنه أمسك بيدي، وتوسّل إليّ أن أبعث به إلى الحقول لحراسة مواشيه. لقد أراد أن يكون في أبعد مكان ممكن من ثيبا. فتركته يرحل. لقد كان مجرد عبدٍ، لكنه استحق هذا وخيراً من هذا.

أوديب: هل يمكن استدعاءه إلى هنا بأسرع ما يمكن؟

يوكاسته: هذا ممكن لكن لماذا تريد حضوره باهتمام شديد هكذا؟

أوديب: إني أخشى على نفسي، أيتها المرأة، وأخشى أن أكون قد أفرطت في الكلام. ولهذا أريد أن أراه.

يوكاسته: سيأتي. لكن ألا استحق أنا أيضاً أن أعرف ما الذي يعذّب نفسك، يا مولاي؟

أوديب: لا أَمْلِك أن أقول لك: لا. إن قلقي كبير جداً. وأي صاحب سرّ يمكن أن يكون عندي أثمن منك، في وسط مثل هذه المحنة؟ إن أبي هو پولوب ـ پولوب الكورنثي[1] ـ وميروفا، أمّي، دورية. وكانت لي المرتبة الأولى هناك بين المواطنين، وحدثت حادثة استجقت دهشتي من غير شك، لكنها لم تكن تستحق أي اهتمام بها كما اهتممت أنا بها. فأثناء مأدبة، في وقت تناول الخمر، وفي حال السكر وصفني رجل بأنني «ابن مظنون». فأثرت هذه الكلمة في نفسي تأثيراً سيئاً؛ وكان من العسير عليّ في ذلك اليوم أن أضبط نفسي، وفي الغداة مضيت لأسأل أبي وأمّي. فأبديا حنقاً على مَن قال ذلك القول؛ لكن إذا كان موقفهما في هذه المسألة قد أرضاني، فإن هذا القول أغاظني واتخذ سبيله شيئاً فشيئاً إلى قلبي. هنالك رحلت إلى فوثو دون إخبار أبي وأمي، وهناك ردّني فوبوس (= أپولو) دون أن يتنازل ويجيب عليّ فيما من أجله ذهبت إليه، بيد أنه تنبأ للبائس الذي هو أنا بمصير مروّع أليم جداً؛ وهو أنني سأشارك أمّي الفراشَ، وسأقدم للعالم سلالة فظيعة، وسأقتل والدي الذي أنجبني. فلما سمعت كلامه هذا قررت أن أترك كورنثوس إلى الأبد وأرضها، وهربت إلى أماكن لا يمكن أن تتحقق فيها هذه الوقائع التي تنبأ لي بها هذا الوحي المروّع. وبينما كنت سائراً وصلت إلى الموضع الذي تزعمين أن هذا الأمير هلك فيه. وإني أقول لك، أيتها المرأة، الحقيقة كلها. ففي اللحظة التي اقتربت فيها، وأنا أتابع طريقي ـ من تقاطع الطريقين ـ جاء منادٍ وتلاه، على عربة تجرها خيول، إنسان يشبه تماماً ذلك الذي وَصَفْتِه لي. وحاول الدليل[2] وكذلك الرجل العجوز، أن يدفعاني بالقوة. فغضبت غضبة حملتني على أن أضرب من أراد تنحيتي عن الطريق، وهو السائق: لكن العجوز شاهدني،

---

(١) پولوب (أو: پولوبوس) الكورنثي هو ملك كورنثوس الذي تبنى أوديب حين عثر عليه وهو طفل وليد قد جاء به راعٍ لما عثر عليه؛ وزوجته اسمها: ميروفا Meropa.

(٢) الدليل هو المنادي الذي يتقدم العربة.

واهتبل اللحظة التي فيها مررت بالقرب منه ومن عربته وضربني علي أُمّ رأسي بسوطه المزدوج لكنه دفع عن هذه الضربة ثمناً غالياً. فقد بادرت في الحال وسحبته من داخل العربة بنفس العصا التي ضربني بها، فسقط على الأرض وتدحرج ـ ثم قتلتهم جميعاً. فإن كانت هناك رابطة بين لايوس وهذا الشخص المجهول ـ فهل يوجد الآن إنسان أشدّ شقاء من هذا الماثل أمامك! وهل يوجد إنسان تبغضه الآلهة بغضاً أكثر من بغضها لي؟ لا أجنبي، ولا مواطن، ولا أحد يقبل بعدُ أن يستقبلني في بيته، ولا أن يوجّه إليَّ كلاماً؛ وكل واحد يرى من الواجب عليه أن ينحّيني عن باب داره. وأكثر من هذا فإني أجد أنني أطلقت ضد نفسي اللعنات والتهديدات التي تفوّهت بها وأنت تعلمينها. إنني أصب النجاسة على زوجة الميّت حين أضمّها بين هذين الذراعين اللذين قتلا لايوس! ألستُ إذن مجرماً؟ ألستُ نجاسة، أنا بكل كياني؟ وما دام من الواجب عليّ إذن أن أنفي نفسي، وفي منفاي أتخلى عن رؤية أهلي، وعن أن أطأ بقدميّ أرضَ وطني؛ وإلاّ لكان عليّ أن أشارك أمّي الفراش وأن أصير قاتلاً لأبي پوليب الذي أنجبني وغذاني. أليس إلاهاً قاسياً ذلك الذي قدّر لي هذا المصير؟ يمكن أن يقال هذا، دون خطأ. كلا، يا أيتها الجلالة المقدسة التي للآلهة، ليتني لا أرى أبداً ذلك اليوم. آه! الأوْلَى بي أن أرحل وأن أختفي من عالم الناس قبل أن تأتي وصمة مثل هذا الشقاء لتنجّس جبيني!

قائد الكورس: أعترف بأن هذا كله يزعجني، يا مولاي! لكن عليك أن تحتفظ بالأمل، طالما لم تسمع بعد شهادة الشاهد.

أوديب: نعم، آمالي معلّقة بهذا: وعليّ أن أنتظر ههنا مجيء هذا الراعي؛ ولا شيء غير هذا.

يوكاسته: ولماذا هذه الرغبة في رؤيته؟

أوديب: لماذا؟ هاك السبب: وهو أن نجده يقول ما قلتِه أنتِ، وحينئذ أصبح بريئاً.

يوكاسته: وماذا قلتُ أنا من كلمات بهذه الأهمية؟

أوديب: أنت قلتِ أنهم كانوا قطاع طرق هم الذين ـ بحسب كلامه ـ قد قتلوا لايوس. فليكرر إذن اللفظ في صيغة الجمع، وحينئذ لا أكون أنا القاتل: فإن

رجلاً واحداً لا يكوّن جمعاً. أما إذا تكلم عن شخص واحد، عن مسافر مفرد، فهناك تسقط الجريمة بوضوح على عاتقي.

يوكاسته: كلا، هذا هو ما قاله؛ ولا يمكنه تكذيبه؛ إن المدينة كلها، وليس أنا وحدي، هي التي سمعت منه ذلك. وعلى كل حالٍ، فإنه إذا انحرف عن كلامه الماضي، فإنه بهذا لا يثبت، يا مولاي، أن رواية القتل هي الصحيحة هذه المرة، لأن لايوس، بحسب وحي أپولون، لا بد أن يهلك بذراع ابنه، وإذن فليس هذا الابن البائس هو الذي قتله، لأنه هو نفسه الذي مات أولاً. ولهذا فإنني فيما يتعلق بالتنبؤات فإنني لا أقيم لها أي وزن.

أوديب: أنت على حق. لكن على الرغم من هذا كله، ابعثي بمن يأتينا بهذا الراعي. ولا تتخلّي عن هذا.

يوكاسته: سأبعث لاستدعائه فوراً. لكن لندخلن القصر. كل ما يرضيك أنا مستعدة لعمله.

(يدخلان القصر معاً).

الكورس: آه! ألا ليت «المصير» يجعلني أحتفظ دائماً بالطهارة المقدسة في كل كلماتي، وفي كل أفعالي. إن القوانين التي تأمر بها تقيم في علّيين: لقد وُلِدَتْ في الأثير السماوي، والأولمب هو أبوها الوحيد؛ لم يصنعها أيُّ كائن فانٍ ولن يجعلها النسيان تغطُّ في النوم: ذلك أن إلاهاً قديراً موجود فيها، إلاهاً لا يشيخ أبداً.

الإفراط يلد الطاغية. حينما يبالغ الإفراط بجنون، دون أن يهتم بالساعة ولا بالمصلحة، وحينما يصّاعد إلى أعلى درجة، ويستقر في القمة، فإنه ما يلبث أن يسقط فجأةً في هاوية حتميّة مهلكة، فيها أقدامه المحطمة تأبى أن تُعِينه. وإني أسأل الإله ألا يشهد انقطاع النضال المجيد من أجل إنقاذ المدينة: الإله هو الذي يحفظني وسيكون كذلك أبداً.

أما من يسلك سبيله، متباهياً بكبريائه في بوادره وكلماته، دون خوف من العدالة ودون احترام للمعابد الإلاهية ـ هذا الشخص أنا أتوقع له مصيراً أليماً يعاقب كبرياءه الشريرة، منذ اليوم الذي يتجلى فيه أنه إنما يسعى إلى المكاسب الإجرامية، دون أن يتراجع عن ارتكاب الفواحش، وعن انتهاك ما لا يجوز انتهاكه.

فهل يوجد على هذه الحالة، شخص يستطيع أن يفتخر بالقدرة على أن يُبْعِد عن نفسه سهام الغضب؟ فإن كانت مثل هذه الأخلاق هي التي تُمَجَّد من الآن فصاعداً، فأية حاجة إذن إلى تشكيل كورسات؟

كلا! لن أذهب بعد لتوقير المركز الجليل للأرض، ولن أذهب بعدٌ إلى معابد أباي[1] Abae، ولا إلى معابد أولمبيا، إذا لم يتفق كل الناس على استهجان مثل هذه الأعمال.

آه! أي زيوس العظيم! ما دُمْتَ، إن صدق اسمك حقاً، سيد الكون، فلا تسمح بأن تُفْلت من نظراتك، ومن قدرتك الأبدية.

وهكذا يحسبون إذن أن وَحيك فيما يتعلق بلايوس باطل ويزعمون إلغاءه! وأبولون قد جُرِّد صراحةً من كل شرف. إن توقير الآلهة قد ولّى.

(يوكاسته تخرج من القصر بصحبة خادمات يحملن أزهاراً وقوارير عطور).

يوكاسته: يا زعماء هذه البلاد؟ خطر ببالي أن أغدو إلى معابد الآلهة لأحمل إليها بيديّ هذه التيجان، وهذه العطور. إن أوديب يطلق العنان لغمومه كي تزعزع قلبه. إنه لا يستطيع أن يحكم - بروية وهدوء - على الحاضر استناداً إلى الماضي. إنه يستسلم لمن يحدثه إن حدّثه عن الشقاء. فما دامت نصائحي لا تَحْصُل منه على شيء، فإني أتوجّه إليك أنت، أيها الإله اللوقياوي، أي أپولون، يا مَنْ أنت جارٌ لنا، لقد أتيت إليك متوسلة، حاملةً لأمانينا. زوّدنا بدواءٍ يشفي من كل نجاسة. إننا قلقون حين نرى أوديب في حيرة واضطراب، بينما هو يمسك بيديه سُكّان سفينتنا.

(رجل عجوز يدخل من ناحية اليسار).

الكورنثي: أيها الأجانب هل لي أن أعرف أين قصر أوديب، ملككم؟ او إن كنتم تعلمون أين هو موجود، فخبروني.

قائد الكورس: هذا مسكنه، وستجده فيه هو بشخصه، أيها الغريب. والمرأة التي تراها هناك هي أمّ أولاده.

---

(١) أباي: بلد في إقليم فوكيدا، بين الاوتيا وبحيرة كاپائيس Capaïs. وكان فيه معبد لأپولون أحرقه الجيش الفارسي في سنة ٤٨٠ق.م.

الكورنثي: ليتها تكون سعيدة أبداً في وسط أبناء سعداء، لأنها الزوجة الكاملة بالنسبة إلى أوديب.

يوكاسته: ولتكن حالك أنت أيضاً كذلك، أيها الغريب: إن أدَبك يستحق هذا. لكن اشرح لي ماذا أتى بك ها هنا، وبماذا تريد أن تخبرنا؟

الكورنثي: إنه أمرٌ سعيد بالنسبة إلى بيتك، أيتها المرأة، وبالنسبة إلى زوجك.

يوكاسته: ماذا تقول؟ لكن قل لنا أولاً من عند مَنْ أتيت؟

الكورنثي: أنا قادم من كورنث. إن الخبر الذي جئت به لا شك أنه سيسّرك جداً - وعكس هذا سيكون مستحيلاً - لكنه ربما يُحْزِنك أيضاً.

يوكاسته: كيف هذا؟ وأنى له أن يكون له هذا التأثير المزدوج؟

الكورنثي: يقال هناك إن أهالي البلاد سينصبّون أوديب ملكاً على الخليج.

يوكاسته: ماذا! وپوليب العجوز؟ أليس متربعاً على العرش؟

الكورنثي: كلا، فإن الموت أرسله إلى القبر.

يوكاسته: ماذا تقول؟ پوليب مات؟

الكورنثي: ليأخذني الموت، إذا كنت لا أقول الحقيقة!

يوكاسته: أيها العبد، اذهب فوراً واحمل هذا النبأ إلى مولاك. آه! أيها الوحي الإلٰهي، أين أنت إذن في هذه الساعة؟! هكذا ها هو إنسان كان أوديب يتجنبه منذ سنوات، خوفاً من أن يقتله، وها هو ذا اليوم ميّتٌ بضربة من القَدَر، وليس بضربة من أوديب.

(أوديب يخرج من القصر).

أوديب: أيتها المرأة العزيزة، يوكاسته التي أحبّها، لماذا أرسلت في طلبي من القصر؟

يوكاسته: استمع إلى هذا الرجل الواقف هناك، وشاهد وأنت تستمع إليه إلى ماذا صارت أنباء وحي إله جليلة.

أوديب: هذا الرجل، مَنْ هو؟ وماذا لديه ليقوله لي؟

يوكاسته: إنه قادم من كورنثوس، وهو يخبرك أن بولوبوس قد توفي: إن الموت قد صرع أباك.

أوديب: ماذا تقول أيها الغريب؟ وَضّح ما تقوله.

الكورنثي: إن كان عليَّ أولاً أن أقدم تقريراً دقيقاً، فأعلم أن پولوبوس قد توفي.

أوديب: فريسة لمؤامرة، أوبسبب مَرَض؟

الكورنثي: أقل صدمة تكفي لتجندل عجوزاً.

أوديب: إذا كان عليَّ أن أصدّقك، فإن هذا المسكين مات بسبب المرض.

الكورنثي: وأيضاً من جرّاء السنوات الطويلة التي عاشها.

أوديب: آه! أيتها المرأة، من يستطيع من الآن فصاعداً أن يلجأ إلى فوثو، إلى مركز التنبؤ؟ أو إلى هذه الطيور التي تصيح فوق رؤوسنا؟ بِحَسْبها كان عليَّ أن أقتل أبي: وها هو ذا أبي قد مات، ودفن في أعماق قبر، قبل أن تمسَّ يدي أي حديد! اللهم إلاّ أن يكون قد مات من الأسف على عدم رؤيتي بعدُ؟ بهذا المعنى وحده يمكن أن يكون قد مات بواسطتي أنا. الأمر الأكيد هو أنه في هذه الساعة پولوبوس موجود في العالم السفلي هو وكل هذا المتاع من أنباء الوحي التي لا قيمة لها.

يوكاسته: أليس هذا هو ما كنت أقوله لك منذ زمان طويل؟

أوديب: صحيح، لكن الخوف ضَلّلني.

يوكاسته: إذن لا تحفل بها بعدُ.

أوديب: وكيف لا أخشى فراش أمّي؟

يوكاسته: وماذا عسى أن يخاف الإنسان الفاني، وهو ألعوبة في يد القَدَر، ولا يستطيع أن ينبأ بشيء يقيني؟ أن يعيش المرء وفقاً للصُّدفة، بقدر ما يستطيع، هذا هو الأفضل جداً. لا تخف من الزواج بأمّ: فكثير من بني الإنسان الفانين قد شاركوا في فراش الأم إبان أحلامهم[1]. ومن لا يولي مثل هذه الأمور إلاّ أقل

---

(١) يقول هيرودوت إن هبياس، قبل معركة ماراثون، قد رأى في النوم رؤيا من هذا النوع، وعدّ ذلك فالاً حسناً.

أهمية هو أيضاً الأقدر على تحمّل الحياة.

أوديب: هذا سيكون مقبولاً، لو كانت أمي قد ماتت. لكن طالما حيّة، فإن من واجبي أن أخاف، مهما قلتِ وتوسعّت في القول.

يوكاستة: إنها لسلوى كبيرة أن تعلم أن أباك في القبر.

أوديب: نعم، أنا أشعر بأنها سلوى كبيرة. ومع ذلك فإن مَنْ لا تزال حيّة تثير في نفسي الخوف.

الكورنثي: لكن قُلْ لي: مَنْ هي المرأة التي تسبّب لك كل هذا الفزع؟

أوديب: أيها العجوزا إنها ميروفا زوجة پولوبوس.

الكورنثي: وما الباعث على إثارة الخوف في نفسك؟

أوديب: وحي مخيف أوحت به الآلهة، أيها الغريب.

الكورنثي: هل تستطيع أن تُفصِح عنه؟ أو يجب أن يبقى سرّاً؟

أوديب: أبداً. إن لوكسياس قد أنبأني في الماضي أنه لا بد لي أن أشارك في فراش أمّي[1]، وأن أسفك دم أبي بيدي. وهذا هو السبب في أنني استقررت منذ زمان طويل بعيداً عن كورنثوس - من أجل سعادتي، لا شك في ذلك، وإن كان يطيب لي أن أرى عيون أهلي.

الكورنثي: وهذا الخوف هو وحده الذي يحملك على الإقامة بعيداً عن مدينتك؟

أوديب: لم أشأ أن أكون قاتل أبي، أيها العجوز.

الكورنثي: لماذا تأخرتُ أنا في أن أخلصّك من هذا الخوف منذ زمان أيها الملك، خصوصاً وقد جئت إلى هنا وأنا على استعداد تام لمساعدتك؟

أوديب: ستنال الجزاء الحسن الذي تستحقه على ذلك.

الكورنثي: هذا تماماً هو السبب في مجيئي إلى هنا، وهو أن تكون عودتك إلى البلاد أمراً يجلب لي بعض المنفعة.

---

(١) أي: أن أتزوج أمي وأجامعها.

أوديب: لا، لا تحسبنّ أبداً أنني سأعود للحاق بأهلي.

الكورنثي: آه! أنا أدرك، يا بُنَيّ، أنك لا تعرف ما هو خطؤك!

أوديب: ماذا تقول، يا عجوز؟ باسم الآلهة، وَضِّحْ لي.

الكورنثي: لو كانت هذه هي أسبابك للتخلي عن العودة...

أوديب: إني أخشى تماماً أن يتبين أن فوبوس (= أبولون) صادقٌ في وحيه.

الكورنثي: أنت تخشى من نجاسة بالقرب من أهلك؟

أوديب: هذا - أيها العجوز - هو ما يتسلّط عليَّ.

الكورنثي: إذن أنت لا تعرف أنك تخاف دونما سبب للخوف.

أوديب: كيف يكون هذا ممكناً، إذا كنت أنا ابنهم؟

الكورنثي: ألا فلتعلم إذن أن پولوبوس لا يمتّ إليك بنسب.

أوديب: ماذا؟ پولوبوس ليس هو الذي أنجبني؟

الكورنثي: إن پولوبوس لم ينجبك أنت، تماماً مثلما أنه لم ينجبني أنا.

أوديب: وأية علاقة بين أبي وبينك أنت يا من لا تنتسب إليَّ بأيّ نسب؟

الكورنثي: إنه لم يكن أباك أبداً مثلما أنه لم يكن أبي.

أوديب: ولماذا إذن كان يدعوني ابنه؟

الكورنثي: لأنه تلقاك من يديّ أنا هدية له.

أوديب: وهل كان يشعر بكل هذا الحنان نحو طفل ليس هو أبوه؟

الكورنثي: لأنه بقي وقتاً طويلاً بدون إنجاب أولاد.

أوديب: وأنت هل اشتريتني، أو عثرت عليَّ بالصدفة؟

الكورنثي: نعم، لقد عثرت عليك في وادٍ في قيثرون فيه أشجار.

أوديب: ولماذا كنت تتجول في تلك المنطقة؟

الكورنثي: كنتُ أرعى قطعاناً متنقلة المرعى.

أوديب: آه! كنتَ راعياً متنقلاً، أجيراً...

الكورنثي: لكنه أنقذ حياتك، يا ولدي، في ذلك الوقت!

أوديب: بأيّ داء كنت آنذاك مصاباً، حينما التقطني في هذه المحنة؟

الكورنثي: ربما تستطيع قدماك أن تشهد عليه بعدُ.

أوديب: آه! لماذا تذكّرني ببؤسي الماضي؟

الكورنثي: إني أنا الذي خلصت قدميك اللتين نفذ فيهما القيد.

أوديب: يا أيتها الآلهة! يا له من عار شنيع أحاط بي وأنا في المهد!

الكورنثي: أنت تدين له بالاسم المأخوذ من هذه الحادثة.

أوديب: لكن مَنْ الذي أراد هذا؟ أهو أبي؟ أو أمّي؟ بحق الآلهة إلا أخبرتني.

الكورنثي: لا أدري. لكن من وضعك في يديّ يعرف هذا خيراً مِني.

أوديب: لست أنت إذن الذي عثرت عليّ؟ أنت تلقيتني من يد شخص آخر؟

الكورنثي: نعم؛ من يد راعٍ آخر أسلمك إليّ.

أوديب: ومَنْ هو؟ هل تستطيع أن تحدّده بدقة؟

الكورنثي: لا شك أنه كان من رجال لايوس.

أوديب: الأمير الذي كان يحكم هذه البلاد فيما مضى؟

الكورنثي: تماماً، لقد كان راعياً عند هذا المَلِك.

أوديب: هل لايزال حيّاً، حتى أستطيع أن أراه؟

الكورنثي: أنتم، يا أهالي هذا البلد، أنتم أَعْلَمُ بهذا.

أوديب: (مخاطباً الكورس)، يا مَنْ أنتم هناك، هل بينكم أحدٌ يعرف من هو الراعي الذي يتكلم عنه هذا الرجل، وهل يقيم في الحقول، وهل شوهد ههنا؟ تكلّموا إذن بصراحة؛ لقد جاءت اللحظة التي فيها يُكْشف عن السرّ في هذه المسألة.

قائد الكورس: أعتقد أنه ليس شخصاً آخر غير الراعي المقيم في الريف والذي أردتَ أن تراه. لكن يوكاسته موجودة هنا: لا أحد يستطيع أن يخبرنا خيراً منها.

أوديب: أنت تعلمين، يا امرأة: الشخص الذي رغبنا منذ قليل أن نراه وهو الذي يتحدث عنه...

يوكاسته: أيّاً كان مَنْ يتحدث عنه! لا تهتم به أبداً. ومِنْ كل ما قالوه لك لا تحتفظ بأية ذكرى: إذ ما فائدة هذا!

أوديب: مستحيل! لقد جمعتُ من الأدلّة مقداراً كبيراً يدعوني إلى مزيد من البحث عن أهلي.

يوكاسته: كلا، بحق الآلهة! إن كنت حريصاً على الحياة، فلا تفكرّ في هذا بعد. وحَسْبي ما أعانيه أنا.

أوديب: لا تَخْشَي شيئاً. فحتى لو تَبين أنني عبد وحفيد عبيد، فإن هذا لن يشينك أنتِ.

يوكاسته: صَدّقني، أرجوك أن تكفّ عن هذا.

أوديب: لن أصدّقك؛ أنا أريد أن أعرف الحقيقة.

يوكاسته: أنا أعلم ما أقول. إن نصيحتي حسنة.

أوديب: إن نصائحك الحسنة صارت تضايقني.

يوكاسته: آه! ليتك لا تعلم أبداً مَنْ أنت!

أوديب: ألا يذهب أحدٌ لاستدعاء هذا الراعي؟ دعوها تتفاخر بسلالتها الثريّة.

يوكاسته: مسكين! مسكين! نعم، هذا هو الاسم الوحيد الذي يمكن أن أدعوك به. لن تتلقى من فمي أيّ اسم آخر.

(تدخل القصر وهي في غاية الحيرة).

قائد الكورس: لماذا تخرج هي هكذا، يا أوديب؛ تلوح كما لو كانت قد قفزت تحت تأثير ألَمٍ فظيع. أخشى أن تنفجر - بعد مثل هذا الصمت - مصيبةٌ هائلة.

أوديب: آه! فلتنفجر إذن كل المصائب كما تشاء! لكن أصلي، مهما يكن متواضعاً، فإني عازم على معرفته. إنها بكبرياء المرأة، تخجل من كون أصلي مغموراً: أما أنا فأعتبر نفسي إبناً للبخت، البخت السخيّ، ولا أشعر بأي خجل من هذا، إن «البخت» هو أبي، والسنوات التي صاحبت حياتي جعلتني مرة صغيراً،

ومرّة كبيراً. ذلك هو أصلي، وليس في استطاعة شيء أن يغيّره، فلماذا أتخلى إذن عن معرفة مَنْ هو الذي أنجبني؟

(الكورس تحيط بأوديب وتحاول أن تسّري عنه همومه).

الكورس: لو كنت مُنبئاً صادقاً، ولو كانت معلوماتي تكشف لي عن الحقيقة، أجل، بحق الأولمپ أُقسِم أنه ابتداءً من غد، عندما يكون القمر بدراً، ستسمع يا قيثرون، تمجيداً لك بوصفك مواطناً لأوديب، ومربياً له ووالداً، وجوقاتنا ستحمدك للمواهب التي منحتها إلى ملوكنا. وأنت أيضاً يا فوبوس! يا من تُستدعى بنبرات حادة، ليتك تطرب لهذه الأناشيد!

مَنْ إذن، أيها الطفل، أتى بك إلى هذا العالم؟ ومَنْ إذن، مِنْ بين الحوريات الطويلات العُمْر، من هي إذن تلك التي أحبّت پان Pan وجعلته والداً، پان الإله الذي يتجول بين الجبال؟ أو لعلها أن تكون واحدة عاشقةً للوكسياس؟ إنه يحلو له أن يغشى المرتفعات الموحشة.

أو ربما كان هو سيّد كولينا[1]؟ أو لعله هو باخوس الإلهي، الساكن في القمم العالية، هو الذي نقبّله، كابن من بين يدي إحدى الحوريات اللواتي كان كثيراً ما يغازلهن على الهليكون[2]؟

(عن يسارٍ يدخل عبدان وهما يقتادان راعياً عجوزاً).

أوديب: حسبما أستطيع أن أفترض، دون أن أكون قد قابلته بعد، فإن هذا الراعي، يا أيها الشيوخ، يلوح لي أنه هو الذي أنتظره منذ بعض الوقت. إن علوّ سِنّه يتفق مع سنّ هذا الرجل. ومن ناحية أخرى، إني أتعرّف فيمن يقتادانه، بعض رجالي. لكن عِلْمك لا شك أفضل من علمي أنا، لعلك رأيته في الماضي.

قائد الكورس: نعم، اعْلَم أني أتعرّفه. لقد كان يعمل عند لايوس وكان يعدّ أخلص الرعاة عنده.

أوديب: إني أخاطبك أنت أولاً، أيها الكورنثي. أهذا هو الرجل الذي تتحدث عنه؟

---

(١) هرمس؛ وكانت أمه حورية في كولينا، بإقليم أركاديا.
(٢) Helicon: جبل عال في وسط بلاد اليونان.

الكورنثي: نعم، إنه هو بعينه؛ إنه ماثل أمامك الآن.

أوديب: تعالَ أيها الشيخ. اقترب مني، وأَجِبْ عن اسئلتي، وعيناك في عينيّ. هل كنت تشتغل عند لايوس؟

الخادم: نعم كنت عبداً غير مُشْتَرى، بل ولدتُ في قصر الملك.

أوديب: بأيّ عمل كُنتَ مكلّفاً؟ وكيف كنت تعيش؟

الخادم: كنت أرعى القطعان الماشية في معظم الأوقات.

أوديب: وفي أي المناطق كنت تفضل أن تقيم؟

الخادم: في منطقة قيثرون، أو في النواحي المجاورة لها.

أوديب: وهل تتذكر أنك عرفت هذا الرجل؟

الخادم: لكن ماذا كان يعمل هناك؟ وعَمَّن تتكلم؟

أوديب: عن هذا الرجل الواقف هناك. ألم تقابله؟

الخادم: ليس بدرجة كافية تسمح لذاكرتي بالإجابة بسرعة.

الكورنثي: لا عجب في هذا، يا مولاي، لكن ما دام لم يتعرَّفني، فإني أنا سآخذ في إيقاظ ذكرياته. أنا متأكد أنه يتذكر الزمان الذي فيه، على القيثرون، هو ومعه قطيعان، وأنا ومعي قطيع واحد، عشنا جنباً إلى جنب، ثلاث مرات، طوال ستة أشهر، من بداية الربيع حتى إشراق الدبّ الأكبر. ولما جاء الشتاء عُدْنا بمواشينا: أنا إلى زريبتي، وهو إلى زرائب سيّده. فهل ما أقوله صحيح، أو غير صحيح؟

الخادم: صحيح. لكن هذه أمور قديمة جداً.

الكورنثي: والآن، خبّرني. في ذلك الزمان، هل تتذكر إنك سلّمت إليّ طفلاً، لأتولى تربيته كما لو كان ابني أنا؟

الخادم: ماذا تقول؟ ماذا تقصد بهذا؟

الكورنثي: ها هو ذا، يا صاحبي، هذا الذي كان آنذاك طفلاً.

الخادم (رافعاً عصاه): ويل لك! أما تخرس!

أوديب: قف، أيها العجوز، لا تضربه بعصاك! بل أقوالك أنت هي التي تستحق الضرب بالعصا أكثر من أقواله هو.

الخادم: لكن ما هي غلطتي، يا أحسن السادة؟

أوديب: إنك لم تَقُل لنا شيئاً عن الطفل الذي يتكلم هو عنه.

الخادم: إنه يتكلم وهو لا يعلم، ويتحرك سُدًى.

أوديب: إذا كنت لا تريد أن تتكلم طوعاً وبمشيئتك، فستتكلم رغماً عنك وسيكلفك هذا غالياً.

الخادم: آه! أتوسل إليك، بحق الآلهة، لا تُسيء معاملة شيخ عجوز.

أوديب: هيا بسرعة، أوثقوا يديه في ظهره!

الخادم: يا ويلتاه! لماذا إذن؟ ماذا تريد أن تعرف؟

أوديب: هل أنت الذي سلّمت إليه الطفل الذي يتكلم هو عنه؟

الخادم: نعم، أنا. لقد كان عليَّ أن أموت في نفس اليوم.

أوديب: إن رفضت الكلام، فهذا هو ما ينتظرك.

الخادم: إذا أنا تكلمتُ، فإن موتي سيكون مؤكداً أكثر.

أوديب: يلوح لي أن هذا الرجل يبحث عن وسيلة للتخلّص.

الخادم: كلا، فأنا قد قُلْتُ إنني أنا الذي سلّمته إليه.

أوديب: ومِمّن استلمته أنت؟ مِنْ نفسك، أو من شخص آخر؟

الخادم: إنه ليس ابني. بل استلمته من شخص آخر.

أوديب: مِمّن؟ ومن أيّ بيت في ثيبا خرج؟

الخادم: لا، يا مولاي، بحق الآلهة، لا تتطلب أكثر من هذا.

أوديب: أنت ميّت، إذا كان عليَّ أن أكرّر طلبي.

الخادم: إنه وُلِد عند لايوس.

أوديب: عبداً؟ أو قريباً للملك؟

الخادم: واحسرتاه لقد وصلت إلى أقسى شيء عليَّ أن أقوله..

أوديب: وعليَّ أنا أن أسمعه. ومع ذلك سأسمعه.

الخادم: إنه كان يعتبر ابنه. لكن زوجته، في القصر، تستطيع خيراً من أي إنسان آخر، أن تخبرك بحقيقة الأمر.

أوديب: أهي التي سلّمته إليك؟

الخادم: نعم هي، يا مولاي.

أوديب: بأيّة نيّة؟

الخادم: من أجل أن أقتله.

أوديب: أمّ! يا لها من امرأة شقيّة!

الخادم: كانت تخاف من وحي أوحت به الآلهة.

أوديب: وماذا أعلن هذا الوحي؟

الخادم: أنه في ذات يوم - حسبما زعم - سيقتل هذا الطفل أبويه.

أوديب: لكن لماذا سلّمته أنت إلى هذا العجوز؟

الخادم: لأني أشفقت عليه، يا مولاي. لقد اعتقدتُ أنه سيحمله إلى البلد الذي جاء منه. لقد أنقذ حياتك، لكن من أجل حدوث أفظع الشرور! إن كنت أنت حقاً من يتكلم هو عنه، فأعلم أنك وُلِدْتَ وقد قُدِّر عليك الشقاء.

أوديب: واأسفاه! واأسفاه! هكذا إذن قد صدق كل شيء! آه! يا نور النهار، الذي أراه لآخر مرة، لأنه في هذا اليوم تكشَّف أنني ابنٌ لذلك الذي كان من الواجب أن أكون ابنه، وزوّج لتلك التي يجب ألا أكون لها زوجاً، وقاتلٌ لمن كان يجب ألا أقتله!

(يمشي متخبطاً في القصر).

الكورس: يا أيتها الأجيال البشرية، إني لا أرى فيك إلاّ العَدَم! من هو إذن الإنسان الذي يحصل من السعادة على أكثر مما ينبغي كي يبدو سعيداً، حتى إذا ما بَدَا ذلك فإنه يختفي من الأفق؟

إذا أنا ضربت بمصيرك المَثَل، مصيرك أنت أي أوديب البائس، فإني لا أستطيع أن أحكم على أحد من الناس بأنه سعيد.

لقد طمح إلى أعلى العُلا. واستولى على ثراء وسعادة كاملين.

إنه قضى على العرّافة[1] ذات المخالب الحادة، يا زيوس. وقد وقف أمام مدينتنا كمتراس ضد الموت.

وهكذا، أي أوديب، أعلنوك ملكاً علينا، وتلقيت أسمى آيات الشرف، وتوليت المُلك على ثيبا القوية.

والآن؛ مَنْ عسى أن يكون أكثر شقاء منك أنت؟ من ذا الذي عانى الكوارث، والبلايا البالغة الفظاعة، في مثل هذا الانقلاب للحظ؟

آه! أيْ أوديب العزيز النبيل! أهكذا مخدع الزوجية شاهد الابنَ بعد الأب يدخلان في نفس المرفأ الرهيب!

والحقلُ الذي حرثه[2] أبوك، كيف احتملك أنت ولمدّة طويلة، ودون تمرّد، يا أيها الشقيّ؟

إن الزمان، الذي يرى كل شيء قد كشف عنه على الرغم منك. إنه يدين هذا الزواج، الذي ليس من الزواج في شيء، والذي منه وُلِد منذ أيام طويلة ـ والدٌ وأبناء معاً.

آه! يا ابن لايوس! كم وددت أن أكون قد عرفتك أبداً، أبداً! إنني في غاية التألُّم، والصرخات الحائرة تنطلق من فمي. لا بد من قول الحقيقة: بك في الماضي استرددت الحياة، وبك اليوم أغلق عيوني إلى الأبد.

(عبدٌ يخرج من القصر).

الرسول: أنتم يا من شرفهم هذا البلد في كل زمان بين سائر الناس، ماذا ستسمعون وماذا سترون؟ أيّ نشيد رثاء لا بد لكم أن تنشدوه إن كنتم لا تزالون تهتّمون ببيت اللبداكيين، مخلصين لدمكم؟ أعتقد أن نهري الاستر Ister والفاس[3] Phase لن يكون في مقدورهما أن يغسلا النجاسات التي يحتوي عليها هذا القصر، والتي سيكشف عن بعضها بعد قليل ـ نجاسات إرادية وليست لا إرادية؛ لكن، بين

---

(١) أي: الاسفنكس.

(٢) هذا التعبير القويّ نجده أيضاً في «القرآن» في الآية: ﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾ (سورة البقرة آية رقم ٢٢٣).

(٣) هما الآن نهرا الدانوب والريون Rion.

المصائب، أليس أفظعها هي تلك التي تولدت عن اختيار حرّ؟

قائد الكورس: ما لمحناه زودنا بمادة للنواح: فماذا تريد أن تضيف إليها؟

الرسول: كلمة واحدة تكفي، كلمة موجزة في التفوه بها كما هي موجزة في سماعها، وهي: إن يوكاستهَ قد ماتت.

قائد الكورس: مسكينة! وما السبب في موتها؟

الرسول: هي نفسها. بيد أن ما هو أشدّ إيلاماً في كل هذا ندّ عنك: إنك على الأقل لم تشهد المنظر. وعلى الرغم من كل شيء، فإنك ستعلم ما عانت من آلام هذه المرأة البائسة، بالقدر الذي تسمح به ذاكرتي. لم تكد تجتاز البهو، وإذا بها تُهْرَع إلى فراش الزوجية وهي تنتزع شعرها من رأسها. ثم دخلت وأغلقت الباب بعنفٍ وراءها. ثم هتفت باسم لايوس، الذي مات منذ عدة سنوات، وذكرت «الأبناء الذين أنجبتهم منه، والذين بواسطتهم هلك هو، تاركاً الأم هي الأخرى تنجب لأولادها ذرية منحوسة». وراحت تنوح على الفِراش «الذي عليه أنجبت هذه البائسة زوجاً من زوجها وأبناءً من أبنائها!» كيف هلكت بعد ذلك ـ هذا أمرٌ أنا أجهله لأنه في هذه اللحظة وقع أوديب وهو يصرخ بيننا، ومنعنا من مشاهدة نهايتها: فلم نستطع أن نشاهد إلاّ إياه. استدار حول جماعتنا؛ وغدا، وراح، متوسلاً إلينا أن نزوّده بسلاح، وطالباً منا أن ندلّه على المكان الذي توجد فيه «الزوجة التي لم تَعُد بعدُ زوجته، لكنها كانت الحقل الأمومي له ولأبنائه». ولا شك أن إلاهاً كان يقود غضبه، ولم يكن واحداً من أولئك الذين أحاطوا به وأنا معهم. وفجأة، أطلق صرخة مروّعة؛ وكما لو كان مقوداً بدليل، انقضّ على عضادتي الباب، ودفع المغلاق من العضادة، ثم اندفع إلى وسط الغرفة. إن المرأة مشنوقة! إنها هناك أمامنا، مخنوقة بالعقد التي تتأرجح من السقف. فلما رأى المسكينُ هذا المنظر أطلق زفرة مروّعة. فكّ الحبل الذي عُلّقت فيه، فسقط جسمها البائس على الأرض. لقد كان ذلك منظراً ترتعد منه الفرائص. ثم انتزع الدبوسين[1] الذهبيين اللذين كانا يربطان ملابسها بجسمها ورفع الدبوسين في الهواء، وأخذ يغرز بهما عينيه في محجريهما. وقال: «وهكذا لن تبصرا الشرّ الذي

---

(١) أحدهما يمسك تنّورة يوكاسته، والآخر يمسك معطفها.

عانيته، ولا الشرّ الذي تسببت أنا فيه؛ وستمنعهما الظلمات من أن تبصرا، من الآن فصاعداً، أولئك الذين كان من الواجب عليَّ أن أراهم[1]، وأن أعرف أولئك الذين كنت ـ على الرغم من كل شيء ـ أريد أن أعرفهم[2] بي». وكان يردد هذه الكلمات باستمرار، وذراعاه مرفوعان، وهو يصفع عينيه، والدم يسيل من حدقيتهما على لحيته. ولم يكن ذلك تقطراً لقطرات حمراء، بل مطراً أسود يجمع بين الدمع والدم، ويفيض على وجهه. وهذه الكارثة قد حدثت لا بسببه هو وحده، بل بسبب من كليهما معاً. إنها الكارثة المشتركة بين المرأة والرجل. إن سعادتهما فيما مضى كانت بالأمس سعادة بالمعنى الحقيقي للكلمة: أما اليوم فإن الأمر بالعكس: ليس هناك إلاّ الزفرات والكارثة، والموت، والعار؛ وكل حزن له اسمٌ قد صار موجوداً ههنا من الآن فصاعداً؛ لم يتغيب أي نوع منه.

قائد الكورس: والآن، هل ينعم هذا الشقيّ بأيّ فترة استراحة من الألم؟

الرسول: إنه يصرخ صرخات عالية مطالباً «بفتح الأبواب»، وأن يشاهد كل القدموسيين ذلك الإنسان الذي قتل أباه، وجعل من أمّه. . .» كلماته هنا هي من الفحش بحيث لا أستطيع أن أكرّرها. إنه يتكلم «كإنسان يستعد لنفي نفسه بنفسه من هذه البلاد، ولا يستطيع الإقامة بعدُ فيها، لأنه يقع الآن تحت طائلة اللعنة التي أطلقها». ومع ذلك فإنه في حاجة إلى سند أجنبي، إنه في حاجة إلى من يقوده. إن الضربة التي أصابته شديدة جداً لا تحتمل. وستحكم أنت على هذا بنفسك. إن مزلاج بابه يرفع الآن. ستشاهد منظراً يرثي له حتى أعدى أعدائه.

(أوديب يظهر، ووجهه يتقطر دماً، وهو يتحسس طريقة بصعوبة).

قائد الكورس: يا لها من بليّة يروِّع مشهدها الناظرين! ـ إنها أفظع ما صادفته في طريقي. أيّ خَبَل، أيها البائس، قد انهار عليك! مَنْ مِن «الخالدين» (الآلهة) قد وثب على حظك البائس وثبة ليس هناك ما هو أفظع منها؟

آه، أيها البائس! كلا إني لا أستطيع أن أتطلع في وجهك. ومع ذلك فكم كان بودّي أن أسألك، وأن أفحص عن أمرك. لكن أنت تثير في نفسي أشد الخوف.

---

(١) أي الأولاد الذين أنجبهم من يوكاسته.

(٢) أي أبويه الحقيقيين اللذين كُشِف له الآن عن هويتهما، وكانا يريدان موته: أي لايوس ويوكاسته.

أوديب: واحسرتاه! واحسرتاه! ما أشقاني! إلى أين تحملني خطواتي، أنا الشقيّ؟ إلى أين يطير صوتي، وهو يضل في الهواء؟ آه! يا مصيري، في أية هاوية سقطت؟

قائد الكورس: في كارثة، ويا ويلتاه! يُرَوِّع مرآها كما يروّع سماعها.

أوديب: آه! سحابة من الظلمات! سحابة فظيعةٌ، تمتد فوقي، هائلة لا تُقاوم، مدمِّرة!

آه! كم أشعر أنه ينفذ في داخل كياني نَصْل جراحي وذكرى مصائبي في وقت معاً!

قائد الكورس: لن يندهش أحدٌ من أنه في وسط هذه المِحَن أنك تعاني بلاءً مزّرعاً وألماً مزدوجاً.

أوديب: آه، يا صاحبي أنت وحدك لا تزال إلى جانبي؟ أتوافق إذن على العناية بأعمى؟

آه! ليس هذا خداعاً: فمن أعماق هذه الظلمات أنا أتعرف صوتك بوضوح جداً.

قائد الكورس: ماذا فعلت؟ كيف خرّبتّ إذن حَدَقتيك؟ أيّ إله دفع ذراعك ففعلت هذا؟

أوديب: أپولون، يا أصحابي! إنه أپولون هو الذي صَبَّ عليّ في هذه الساعة هذه الفظائع، هذه البلايا التي هي نصيبي، نصيبي من الآن فصاعداً. لكن لم تضربني أية يدٍ أخرى غير يدي أنا، يدي أنا، أنا الشقيّ! ماذا أستطيع أن أُبصِر بعدُ مما عساه أن يكون عذباً في نفسي؟

الكورس: هذا صحيح ويا أسفاه!

أوديب: ماذا يمكن أن أُبصِر مما يرضيني؟ هل ثم بعدُ نداء أستطيع أن أسمعه بسرور؟

آه! اقتادوني بعيداً عن هذه الأماكن بسرعة! يا أصحابي، اقتادوا الكارثة الرهيبة الملعونة بين الملعونات، الرجلَ المكروه من الآلهة أشد ما تكون الكراهية!

قائد الكورس: إن نفسك تعذّبك بقدر ما تعذبك بليّتك. كم كنت أود ألا تكون قد عَلِمْتَ بشيء!

أوديب: آه! أيّاً مَنْ كان، فاللعنة على الرجل الذي أمسك بي من قيدي القاسي وأنا على عشب المرعى، وأنقذني من الموت، وردّني إلى الحياة! إنه بهذا لم يفعل شيئاً مفيداً لي.

لو كنت قد مُت في تلك الساعة، لما كنت قد صِرْتُ كارثة على نفسي ولا على أهلي مثلما أنا اليوم.

الكورس: وأنا أيضاً كانت هذه أُمْنِيَتي.

أوديب: إذن لما كنتُ قاتلاً لأبي، ولما كنتُ في نظر كل الناس قد صرتُ زوجاً لتلك التي أدين لها بالحياة.

أما اليوم فقد صرت عاراً، وابناً لوالدَيْن فاسقين، وأنجب هو نفسُه أبناء من أمه التي ولدته؛ إن كانت هناك مصيبة وراء كل مصيبة فها هي ذي، إنها نصيب أوديب.

قائد الكورس: إني لا أعلم حقاً كيف يمكن تبرير القرار الذي أتخذتَه. كان الأفضل لك ألا تعيش بعدُ من أن تعيش أعمى إلى الأبد.

أوديب: آه! لا تَقُلْ لي إن ما فعلته أنا لم يكن أفضل ما يمكن فعله. وأَعْفِنِي من دروسك ونصائحك! حينما أنزل إلى العالم السفلي، بأيّ عينين، إذا كنت مبصراً، أستطيع أن أنظر إلى والدي وإلى أمّي المسكينة، بينما أنا قد ارتكبت في حقهما جرائم أفظع من تلك التي من أجلها يشنق الإنسان نفسه؟ وهل رؤية أولادي يمكن أن تسرُّني؟ أولادٍ وُلِدُوا مثلما وُلِد هؤلاء! إن عيوني - على الأقل - لن تراهم، ولن ترى هذه المدينة، وهذه الأسوار، والصور المقدسة لآلهتنا الذين أنفصلتُ أنا عنهم، أنا الشقيّ، أنا أمجد أبناء ثيبا، في اليوم الذي أمرتُ فيه الجميع بأن ينبذوا هذا الكفر وأعلن الآلهة أنه نجس أنا ابن لايوس! وبعد أن أسلمتُه أنا بنفسي على هذا النحو نجاستي أنا، أسيكون في وسعي أن أراهم[1] دون أن أغض الطرف؟ لا، لا وحتى لو أمكنني أن أصدّ سيد الأصوات عن الوصول إلى أُذُنَيَّ،

(١) الضمير يعود إما إلى أفراد الكورس أو إلى أهل ثيبا.

فلا شيء حينئذ سيمنعني من إغلاق جسمي المسكين، بجعله أعمى وأصمَّ معاً. كم يطيب للنفس أن تحيا خارج بلاياها! آه! يا قيثرون، لماذا التقطتني؟ لقد كان الأحرى بك أن تمسك بي وتقتلني في الحال! إذن لما كنتُ قد كشفت للناس هكذا عن أصلي الذي جئت منه! إيه يا بولوبوس، إيه يا كورنثوس، وأنت أيها القصر العتيق، يا من قيل عنه إنه قصر أبي، تحت كل هذه المظاهر الجميلة ـ أيُّ دُمَّل خبيث أنت ولّدته في نفسي! إني أظهر اليوم كما أنا عليه في حقيقة الأمر: مجرم، وسليل مجرمين! أيها الطريق المزدوج، أيها الوادي المختفي! ويا أيكة أشجار السنديان! ويا تقاطع الطريق الضيق الذي تلاقى فيه طريقان. أنت يا مَنْ شربت دم أبي المسفوح بيديّ أنا ـ هل نسيت الجرائم التي ارتكبتها تحت نظر عينيك، وتلك التي اقترفتها فيما ههنا أيضاً؟ وأنت أيها الزواج الذي أدين له بالوجود، وبعد ميلادي عالجت نفس البذور وأتيت إلى الدنيا بآباء، وإخوة، وأولاد، وكلهم من نفس الدم! زوجات هي في وقت واحد حلائل[1] وأمهات ـ وهم أكبر المسربلين بالعار بين بني الإنسان ـ لا، لا! هناك أمور ذكرها لا يقل عاراً عن السكوت عنها. هيا أسرعوا ـ باسم الآلهة ـ هيا اسرعوا فخبئوني في مكانٍ ما بعيد عن هنا! اقتلوني، ارموني في البحر، أو في أماكن لا يراني فيها أحد. تعالوا، تنازلوا وامسسوا رجلاً بائساً. آه! صدّقوني، لا تخافوا مصائبي هي لي أنا، ولم يخلق إنسان آخر لحملها.

قائد الكورس: لكن للإجابة على طلباتك، ها هو ذا كريون قد جاء في الوقت المناسب. إنه كفء للعمل بقدر ما هو كفء لإسداء النصح إليك، لأنه هو الوحيد الذي بقي للسهر على مصالح بلدنا بعدك.

(كريون يدخل).

أوديب: أواه! ماذا عليَّ أن أقول له؟ أية ثقةً يمكن أن أدعى بها إليه؟ ألم أكن قاسياً معه؟

كريون: أنا لم آت ههنا للاستهزاء بك يا أوديب، ولا للومك على الشتائم التي صببتها عليَّ فيما مضى. أما أنتم، فإن لم يكن عندكم احترام لجنس بني

---

(١) صيغة الجمع قد يراد بها المفرد ـ وهذا أمر شائع عند شعراء المآسي اليونانية.

الإنسان، فاحترموا على الأقل النار[1] التي تغذّي هذا العالم؛ اخجلوا من أن تعرضوا لأشعتها عارياً شخصاً نجساً هكذا، لا تستطيع تقبّله الأرض ولا الماء المقدس، ولا ضوء النهار. اذهبوا، عودوا به بسرعة إلى بيته. إن الرحمة تدع للأقارب وحدهم الاهتمام والاصغاء إلى الأقارب الذين يقعون في محنة.

أوديب: باسم الآلهة، ما دمتَ قد خلصتني من الخوف بمجيئك ـ أنت يا أفضل الناس ـ إلى شر الأشرار ـ أَصْغِ إليّ. أريد أن أكلمك من أجل مصلحتك أنت، لا مصلحتي أنا.

كريون: وما هو طلبك الذي تحثّني عليه هكذا؟

أوديب: أَلْقِ بي خارج هذه البلاد، وبأسرع ما يمكن، في مكانٍ لا يكلّمني فيه أحد.

كريون: كن واثقا أنني كنت سأفعل هذا، لولا أنني أردت أوّلاً أن أعرف من الآن ما هو واجبي.

أوديب: لكن الإله قد أعلن حكمه وهو: للقاتل وللكافر الذي هو أنا العقاب هو الموت.

كريون: هذه فعلاً كلماته، لكن في المحنة التي نحن فيها الأفضل هو أن نتأكد مما هو واجبنا.

أوديب: ماذا! من أجل بائسٍ تريد أن تستشير أيضاً؟

كريون: هذا من أجل أن تصدّق أنت الإله في هذه المرّة.

أوديب: أنا أصدّقه في هذا. وأوجّه إليك آخر تمنياتي وأقول: أما بالنسبة إلى تلك الموجودة هناك، في أعماق القصر، فاذهب وأعدّ مراسم الجنازة على النحو الذي تريدها أنت: إنه من اختصاصك أن تعني بأهلك. أما فيما يتعلق بي أنا، فطالما كنتُ حيّاً، فإني لا أريد الإقامة في هذه المدينة، مدينة آبائي! بل دعني أسكُنْ في الجبال، فوق جبل قيثرون هذا الذي يقال إنه نصيبي المقدّر عليّ. إن أبي وأمي، وهما حيّان، قد قررا أن يكون لي قبراً. وهكذا سأموت إذن بواسطة

(١) أي: الشمس.

أولئك الذين أرادوا موتي. ومع ذلك فأنا أعلم أنه لا المرض ولا أي شيء آخر في العالم لا يمكن أن يقضي عليَّ: فإني لم أُنقَذ في الساعة التي كنت أموت فيها إلا من أجل أن أصاب بمصائب فظيعة. لا يهم! ليأخذ مصيري مجراه المقدر له. لكنّ لي أبناء. لكن، يا كريون، لا تهتم بأبنائي. إنهم رجال: وأينما كانوا، فلن يعوزهم الخُبْز. أمّا بناتي المسكينات الجديرات بالرحمة، اللواتي بدونهن لم تكن تمدُّ لي مائدة الطعام، وشاركن دائماً في كل الأطعمة التي ذُقْتها - فإني أتوسل إليك أن تهتم بهنّ. وخصوصاً، دعني أربّت عليهن بيديّ، وأنا أبكي على مصائبنا. آه! أيها الأمير النبيل الكريم! إذا مسْتهن يداي فقط، فإني سأتصور أنهن لا زلن لي، تماماً مثلما كانت الحال حينما كنت أراهن بعيني المبصرتين! لكن ماذا أقول؟ يا أيتها الآلهة! أو لست أسمع ابنتي ههنا وهما تبكيان؟ ألم يرسلهما إليّ هنا كريون وقد أخذته الشفقة عليهما فأرسل أعزّ ما عندي، أعني ابنتي؟أصحيح ما أقول؟

(أنتيجونا واسمينا تخرجان من الجناح المخصص للسيدات، تقتادهما إحدى الإماء).

كريون: هذا صحيح. وأنا الذي رتبت لك هذه الفرحة، لعلمي بأنك كانت تراودك هذه الفكرة.

أوديب: لنهنأنّ إذن بالسعادة! ومكافأة لك على مجيئهما فليحفظك الإله خيراً مما فعل معي.

أنتما يا ابنتاي! أين أنتما؟ تعاليا، تعاليا نحو هاتين اليدين الشقيقتين اللتين فعلتا ما تشاهدان مِمّا حدث لهاتين العينين اللتين كانتا مليئتين بنور الأب الذي أنجبكما. هذا الأب، يا ابنتاي، دون أن يكون قد رأى شيئاً أو عَلِم شيئاً قد تكشّف فجأةً أنه أنجبكما في نفس الرّحم الذي تكوّن هو فيه! إني أبكي عليكما أنتما أيضاً - لأنني لم أعُدْ أستطيع أن أراكما - نعم، أبكي حينما أتصور كم ستكون مرةً حياتكما في المستقبل، وأي مصير سيهيئوه لكما الناس. ما هي الاجتماعات في مدينتكما، وما هي الاحتفالات التي يمكن أن تحضراها، دون أن تعودا منها والدموع تنهمر من عيونكما، والضيق قد حلّ بكما من المنظر الذي شاهدتما. وحينما تبلغان سن الزواج، مَنْ ذا الذي سيريد، وسيجرؤ على تحمّل كل هذه المعرّات التي من شأنها أن تدمّر وجودكما، كما فعلت مع والديّ أنا؟ هل من جريمة أعوزتها؟ إن أباكم قتل أباه، وأخصب الرَّحِم الذي منه خرج؛ لقد أنجبكما

من تلك التي أنجبته هو: تلك هي المخازي التي ستعيّران بها. فمن بعد هذا يقبل الزواج منكما! لا أحد، يا ابنتاي؛ ولا شك في أنه مقضيٌّ عليكما باستهلاك عمركما في العقم وفي الوُحْدة. وأنت يا ابن منكيا، ما دمت ستبقى وحدك بمثابة الوالد لهما ـ فنحن الأب والأم لهما قد أصابنا الموت ـ لا تترك ابنتين من دمك تتشردّان دون زوج، ويتسوّلان الخبز ليقتاتا به. ولا تجعل شقاءهما مماثلاً لشقائي. وارحمهما، وأنت تراهما في ميعة الصبا، مهجورتين من سائر الناس إن لم تأخذ بأيديهما. أعطني كلمة شرف بهذا، أيها الأمير الكريم، بأن تلمس يدي. (كريون يمدّ إليه يده). آه! كم من نصائح، يا ابنتاه، كنت أودّ أن أسديها إليكما لو أنكما كنتما في سن تسمح لكما بفهم ما كنت أود أن أقوله لكما. أما الآن، فصدّقاني، واسألا الآلهة، حيثما سمح لكم المصير بالعيش، أن تجدا هناك حياة أفضل من تلك التي عاشها الأب الذي أنجبكما.

كريون: أنت ذرفت من الدموع ما فيه الكفاية، فادخل إلى بيتك.

أوديب: لا أملك إلاّ الطاعة، حتى لو كلفني ذلك الكثير.

كريون: ما يفعله المرء حين يكون ذلك لابد منه هو دائماً فعلٌ حَسَن.

أوديب: هل تعرف ما هي شروطي للابتعاد عن هنا؟

كريون: خبّرني ما هي، وسأعلمها حينئذ.

أوديب: اعمَلْ على اقتيادي إلى خارج هذه البلاد.

كريون: الجواب موكول إلى الإله.

أوديب: لكني بغيض إلى الآلهة من الآن فصاعداً.

كريون: إذن ستحصل على هذا من غير شك.

أوديب: إذن أنت موافق؟

كريون: ليس من عادتي أن أتكلم بعكس ما أفكر فيه.

أوديب: إذن اقتدني على الفور.

كريون: تعالَ إذن، واترك بنتيك.

أوديب: كلاّ، ليس بدونهما؛ كلا، لا تسلبهما مِنّي!

كريون: لا تزعم أنك ستنتصر دائماً: إن انتصاراتك لم تصحب حياتك.

(تقتاد البنتان إلى الجناح الخاص بالنساء بينما يُدْخَل أوديب من الباب الكبير للقصر).

قائد الكورس: انظروا، يا أهالي مدينة ثيبا، وطني. ها هو ذا أوديب، الحاذق في حل الألغاز الشهيرة، والذي صار أول بني الإنسان. لم يكن أحدٌ في المدينة يتأمل مصيره إلا ويحسده عليه. أمّا اليوم، فها هو قد وقع في هاوية من الشقاء الرهيب. فلا بد إذن من اعتبار هذا اليوم الأخير بالنسبة إلى الإنسان. حذارِ إذن من أن نصف إنساناً بأنه سعيد، قبل أن يكون قد اجتاز نهاية عمره دون أن يكون قد عانى مصيبة[1].

ختام

مسرحية «أوديب ملكاً»